# الأدب الأموي

## تاريخه وقضاياه

تأليف
دكتور
زكريا عبد المجيد النوتي
مدرس الأدب والنقد
بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

مطبعة الحسين الإسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر
تليفون : ٩١٩٧٢٤

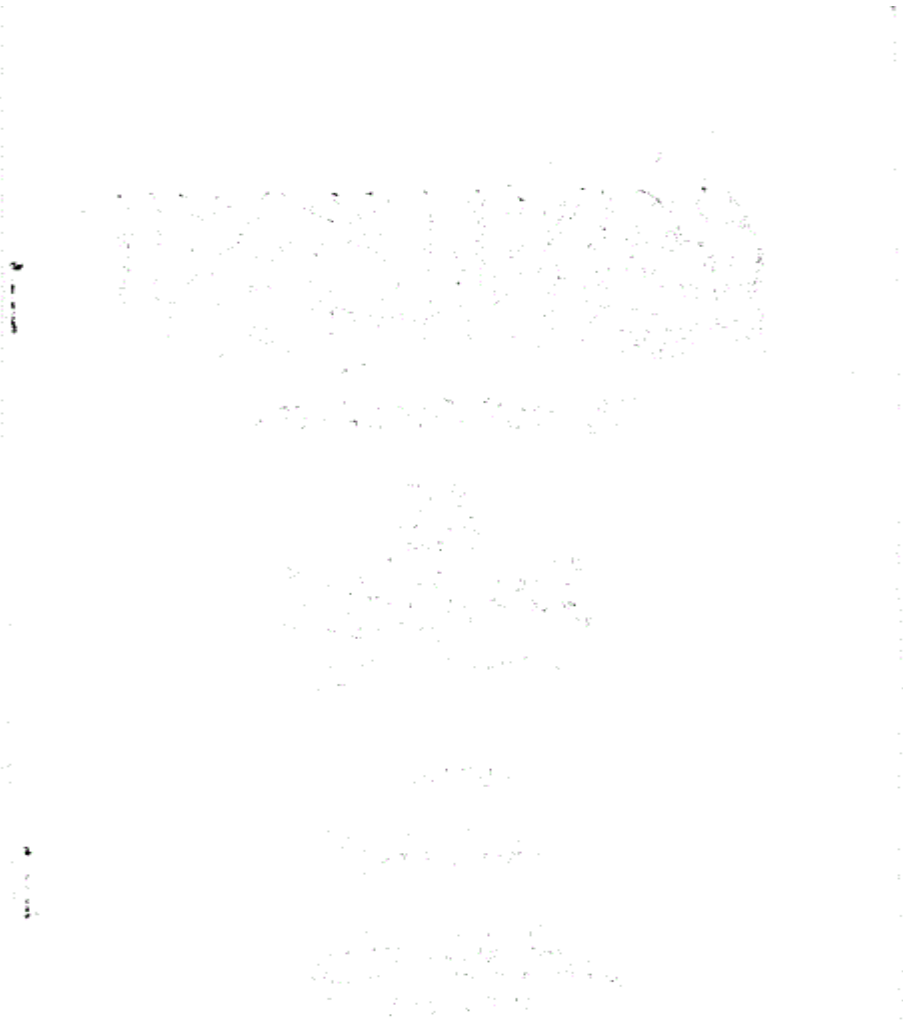

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

احمد الله تبارك وتعالى ، وأصلى وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد .

فالعصر الأموى هو عصر بين عصور ازدهر فيهما الأدب ازدهارا بينا ، لقد سبقه العصر الجاهلى وصدر الاسلام ، وتلاه العصر العباسى، وفى العصر الأول كانت للشعر مكانته بين القوم كما تعرف ، وفى العصر العباسى كان الازدهار الشامل لشتى العلوم والمعارف ومن بينها الشعرالذى تطورتطورا واسعا وأخذت الصنعة سبيلها إليه .. فأين موقع الأدب الأموى من سابقه ولاحقه ؟ .. هذا ما تكشف عنه هذه المحاضرات .

هذه المحاضرات تكشف خط سير الأدب العربى شعره ونثره فى هذا العصر وهل طرأ على فنونه من تجديد أو ظل تقليديا بحتا ؟

وقد حاولت قدر الجهد أن أوجز الحديث حتى أستطيع أن ألم بكل جوانب الموضوع فى هذا القدر المحدود ..

وانى لأرجو أن تفى هذه المحاضرات بالغرض ، وعلى الله قصد السبيل . .

**دكتور/ زكريا عبد المجيد النوتى**

**القاهرة فى ٢٤ من ربيع الثانى ١٤١٣ هـ**

**٢١ من أكتوبر ١٩٩٢ م**

# الباب الأول

## الشعر فى العصر الاموى

### الفصل الأول

### العوامل المؤثرة فى الادب الاموى

#### أولا : السياسة

**تمهيد :**

كانت حياة العرب فى الجاهلية قائمة على العصبية القبلية ، تلك التى اشعلت نيران الحروب بين قبائلهم ، ومزقت المجتمع الجاهلى ..

وجاء الإسلام فجعل اخوة الدين اسمى من اخوة النسب ، وكانت تعاليمه حائلة على استلال سخائم العصبية الجاهلية ، عاملة على إحلال الحب والسماحة والفخر بالدين محل تلك العصبية .

ونهى - فى سبيل ذلك - عن التفاخر بالانساب ، وجعل التفاضل على اساس التقوى « **إن أكرمكم عند الله اتقاكم** »(١) .

وقد امتن الله سبحانه على المسلمين بتاليفه بين قلوبهم ، وحثهم - سبحانه - على الإبقاء على هذا التآلف ، ونهاهم عن الفرقة « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ..** »(٢) .

وكان ثانى عمل للرسل - ﷺ - فى المدينة - بعد بناء المسجد -

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٣ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، تلك الأخوة التى كانت لها حقوق مقدمة على حقوق القرابة إلى غزوة بدر الكبرى التى نزل فى أعقابها قوله سبحانه « **واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم** »(٣) .

وفى صحيح البخارى بسنده عن ابن عباس قال :

« كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجرى الانصارى دون ذوى رحم للأخوة التى آخى النبى - ﷺ - بينهم ... فلما نزلت « **ولكل جعلنا موالى .. نسخت** »(٤) .

وقد أثنى القرآن الكريم على تعاملهم فيما بينهم فقال سبحانه : « **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ..** »(٥) .

وليس معنى ذلك موت العصبية ميتا ، بل كانت تظهر بين الحين والآخر ، ولذلك نجد هذه الأحاديث الكثيرة عن الرسول - ﷺ - تنهى وتحذر من تلك العصبية - يقول - ﷺ - :

« من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية ، أو يدعو لعصبية ، أو ينصر عصبية فقتل قتل قتلة جاهلية »(٦) .

---

(٣) سورة الانفال : آية ٧٥ .

(٤) صحيح البخارى - كتاب التفسير - تفسير سورة النساء ، باب قوله تعالى : ( **ولكل جعلنا موالى** ) .

(٥) سورة الحشر : آية ٩ .

(٦) صحيح مسلم - كتاب الامارة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ١٤٧٨/٣ ، وسنن ابن ماجه - كتاب الفتن ٢/٢

وفى وصيته - ﷺ - فى خطبة الوداع يقول :

« إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقى ، وفاجر شقى ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها النتن .. »(٧) .

لقد كانت العصبية تظهر إذا بدا ما يهجيها ، ومن ذلك ما حدث فى غزوة بنى المصطلق :

« كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فكان بينهما قتال إلى أن صرخ الأنصارى : يا معشر الأنصار ، وصرخ المهاجر : يا معشر المهاجرين ، فبلغ ذلك النبى - ﷺ - فقال :

---

(٧) عون المعبود شرح سنن أبى داود ١٦/١٤ ، ط دار الكتب العلمية بيروت .

العبية : الفخر والتكبر والنخوة . ( مؤمن تقى وفاجر شقى ) قال الخطابى : معناه أن الناس رجلان : مؤمن تقى فهو الخير الفاضل وإن لم يكن حسيبا فى قومه ، وفاجر شقى فهو الدنى وإن كان فى أهله شريفا رفيعا أ.هـ .

وقيل : معناه أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقى فإذن لا ينبغى له أن يتكبر على أحد ، أو فاجر شقى فهو ذليل عند الله ، والذليل لا يستحق التكبر ، فالتكبر منفى بكل حال .

الجعلان : جمع جعل : دويبة سوداء تدير الخراء بأنفها ، قال الدميرى : وهو دويبة معروفة تعض البهائم فى فروجها فتهرب ، ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها ، ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد إلى الروث عاش ..

« ما لكم ولدعـوة الجاهلية .. دعوها فإنها منتنة »(٩) .

**ويمكن القـول :**

إن المسلمين فى عهد النبى - ﷺ - عاشوا فى شغل عن العصبية إلا فى القليـل النـادر ، لأنهم صاروا وحدة سياسية تصرف جهـودها لحماية عقيدتها وصيانة حياتها ، ولأن الغـزوات شغلتهم عن دعـاوى الجاهلية ، وصاغتهم تعاليم الإسـلام على الإخـاء والمحبة ، ووجدوا فى رسول الله - ﷺ - أبا محبوبا يسـوى بينهم ، وينسيهم ما سلف بينهم من بغضـاء وشحناء(١٠) .

وما أن لحق الرسول بالرفيـق الأعلى حتى أطلت العصبية برأسها لكن الله وفق أبا بكر وعمـر فى إخماد الفتنة ، وتولى أبو بكـر الخـلافة ثم عمـر ، ثم عثمان ..

وكانت خـلافة عثمان - رضى الله عنه - فرصـة مواتية للأمويين ليستردوا سلطانهم القديم فى الجـاهلية ، وليستأثروا بالخـلافة دون بنى هـاشم .

**اشتعـال الفتنـة :**

وقتـل عثمان ، وبويع على - كـرم الله وجهـه - بالخـلافة ، بايعـه كثير من المسلمين ، وأيده معظم كبار المهاجرين ..

ولكن البيعـة لم تكتمل ، إذ انشـق عليه (معاوية بن أبى سفيان) بالشـام ، وكبار رجال بنى أمية ، ( وطلحـة والزبير ) اللذان خرجا الى مكة حيث توجد السيدة ( عائشـة ) ، وأخذوا يحرضون على الثـار

---

(٩) راجع : فجر الإسلام ، أحمد أمين ص ٧٨ وما بعدها .

(١٠) راجع : أدب السياسة فى العصر الأموى ، د. أحمد الحوفى ، ص ١١ ، بتصرف .

لعثمان واخذ بعضهم يتهم عليا بقتل ( عثمان ) واخذ ما فى داره من سلاح وابل بعد أن بويع بالخلافة ، فهذا الوليد بن عقبة(١١) ، أخو عثمان لأمه يقول(١٢) :

الا من للذل لا تفور كواكبه
إذا لاح نجم لاح نجم يراقبه

بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تنهبوه ، لا تحل مناهبه

بنى هاشم لا تعجلوا بإقادة
سواء علينا قاتلوه وسالبه

وانا وإياكم وما كان منكم
كصدع الصفا لا يراب الصدع شاعبه(١٣)

بنى هاشم كيف التعاقد بيننا
وعند على سيفه ونجائبه(١٤)

لعمرك لا انسى ( ابن اروى ) وقتله
وهل ينسين الماء ـ ما عاش ـ شاربه

---

(١١) هو الوليد بن عقبة بن ابى معيط ، اخو عثمان لأمه ، أمهما أروى ، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب . انظر : طبقات ابن سعد ١٥/٦ ، الاستيعاب ١٥٥٢/٤ .

(١٢) الاغانى ١٢٢/٥ ، وشعر أمويون ، القسم الثالث ـ د/ نورى القيسى ، ص ٤٤ .

(١٣) صدع الصفا : الشقق فى الصخر ، لا يرابه شاعبه : لا يصلحه مصلح .

(١٤) النجائب : النوق السريعة .

هـم قتـــلوه كى يكـونوا مـكانـــه
كمـا غـدرت يـوما بكســرى مـرازبه(١٥)
وإنى لمجتـــاب إليـكم بجحفـــل
يصـم السمييـع جـرســه وجلائبـــه(١٦)

وقد رد عليه ( الفضل بن العباس بن لهب ) فى قوله(١٧) :

فـلا تســالونا سيفـكم ، إن سيفـــكم
أضيـع والقـاه لـدى الـروع صـاحبه
سـلوا اهـل مصـر عن سلاح ابن اختنا
فهـم سلبـــــوه سيفـــه وحـرائبـــه(١٨)
وكـان ولى العهـــد بعـــد محمـــد
على ، وفى كـل المواطـن صـاحبـــه
عـلى ولـى الله اظهـــــر دينـــــه
وانـت مـع الاشقـين فيمـا تحاربـــه
وقـد نـزل الرحمـــن انـك فـاســق
فمـا لـك فى الإســـلام سهـم تطالبـه

وتمـادى الأمر بين الطائفتين إلى أن التقتـا فى ( صفين سنـة ٣٧ هـ ) وكاد النصـر يكون حليفا لعلى وجنده لولا أن رفع جند معاوية المصـاحف مطالبين بالتحكيم .

وانتهى الأمـر بالتحكيم إلى خلع على وثبيت معـاوية .

---

(١٥) المرازب : جمـع مرزبان وهو رئيس الفرس .
(١٦) مجتاب : سائر ، جحفل : جيش ضخم ، الجلائب : الخيل .
(١٧) مـروج الذهب ٤٣٣/١ .
(١٨) الحرائب : جمع حربية وهى المـال المسلوب .

● قيـام دولة بنى أميـة :

وقتـل على ـ كرم الله وجهه ـ ، وقامت الدولة الأموية سنة ٤١ هـ وذلك بعد تنازل ( الحسن بن على ) عن حقـه فى الخـلافة تفـاديا لنيران الفتنـة والحـروب ٠

وزار معـاوية الكوفة ، وبايعـه أهلها ، وبذلك كان أول خليفـة من بنى أمية من ( سنة ٤١ هـ ـ ٦٠ هـ ) وآخـرهم : مـروان بن محمد ( ١٢٧ هـ ـ ١٣٢ هـ ) وعدد خلفائها أربعة عشر ٠

اتسم حكم الأمويين بالعصبية ، عصبية للعرب على الموالى والعجم، وعصبية لليمنية على القيسية ، ولبنى أميـة على بنى هاشم ٠٠٠ وهنا اتسعت رقعـة الخـلاف بين المسلمين فصـارزا شيعا وأحـزابا أسفـرت عن الفـرق الآتيـة :

★ ★ ★

## ١ - الحـزب الأمـوى

وهو الحزب الحاكم الذى انتزع الخلافة بكل سبيل ، وزعيمهم : السياسى الداهية ( معـاوية ) الذى يضـرب المثـل بشعرته فى الحـلم وذلك لقوله : ( لو أن بينى وبين النـاس شعرة ما انقطعت ، كنت إذا شدوها أرخيتها ، وإذا أرخوها شددتها ) .

أخذ معـاوية يوطد دعائم ملكه ، ويثبت قاعدته ، مستخدما فى ذلك دهاءه وحلمـه ، وسلك فى سبيل ذلك مسلك الترغيب والترهيب .

وابتدع معـاوية ما سماه بـ ( ولاية العهد ) وبذلك جعل الخلافة وراثيـة فى عقبـه .

« ولقد كان مفهـوما أن معـاوية بن أبى سفيان حينما استقر له الأمـر ، ودانت له الخلافة سوف لا يسمح بخروجها من بيت بنى أميـة ولكن الأمـر الذى لم يتوقعه زعيم من زعمـاء المسلمـين أو رأس من رءوس بنى أميـة نفسها أن معـاوية سوف يجعـل الخلافة وراثية فى عقبه وفى ولده ( يزيد ) على وجه التحديد .. وكان بعض بنى أميـة يطمعون فى الخـلافة بعده ، ولكن معـاوية الداهية يوعز إلى شاعره ( مسكين الدارمى ) أن ينشد قصيدة يقترح فيهـا ولاية العهد لـ (يزيد) فى مجلس يضم هؤلاء الطامعين ليقطع أملهم فيها(١) :

**ألا ليت شعـرى مـا يقـول ابن عـامر**
**ومـــروان أم مـاذا يقـــول سعيـد ؟**

---

(١) الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية د. مصطفى الشكعة ص ٣٠٣ ( بتصرف وإيجـاز ) .

بنى خلفـــاء الله مهـــلا فـإنمـــا
يبـوئهـــا الـرحمـــن حيـث يريـد

إذا المنبـــر الغـــربى خـــلاه ربـه
فـإن امير المـؤمنـــين ( يزيـد )

على الطـــائر الميمـون والجد صاعـد
لـكل انـاس طـــــائر وجـــــدود

فـلا زلت أعلى النـاس كعبـا ولا تزل
وفـــــود تســـاميها إليـك وفـــود

ولا زال بيت المـلك فـوقك عاليـــا
تشيـد أطنـــاب لـه وعمـــــود(٢)

فقال معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله ..

وصـارت تلك سنة تحتذى فى بنى أمية ، وأصبح الوضـع مجالا للتندر والتهكم ..

وفى ذلك يقول الشاعر ( عبد الله بن همام السلولى ) :

فان تاتوا بـ ( رمـلة ) أو بـ ( هند )
نبايعهـــا أميـــرة مـؤمنينـــــا

إذا مـا مـات كســـرى قـام كســـرى
نعـــــد ثلاثـة متناسقينـــا(٣)

وهكذا تحققت نبوءة أبى سفيان ورجاؤه ، وكان قد صرح به فى دار عثمان بعد مبايعته بالخـلافة .. وكان أبو سفيان قد كف بصـره -

---

(٢) الاغـانى ٦٨/١٨ .

(٣) الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية ، ١٠٤ نقلا عن مروج الذهب ٧٠/٢ .

فسـال من بالدار : افيكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا . قال : يا بنى أميـة ، تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذى يحلف به أبو سفيان ، ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة »(٤) .

لقد انفصلت السياسة عن الدين فى عهد بنى أمية ، وصار الأمـر ملكا عضوضا يهدف إلى غـرض سياسى عملى يجب أن يتحقق وإن كان فيـه جور على الدين .

وأصبح الحكام أصحاب عرش دنيوى ، همهم حفظ الملك فى بيوتهم وإخضاع الرعية لسلطانهم ، وفى سبيل ذلك ضحوا بأسر وأفراد وشيع ومواثيق وشعـائر(٥) .

ولم يشذ عن نظـام توريث الخلافة إلا ( معاوية بن يزيد ) فقد أرادها شـورية ديمقراطية كما كانت فى عهد الخلفاء الراشدين ، فلمـا حضرته الوفاة طلبوا إليه أن يعهد إلى من يختاره من أهل بيته فقال :

والله ما ذقت حلاوة خلافتكم ، فكيف أتقلد وزرها وتنتحلون أنتم حلاوتها ، وأتعجل مرارتها ، اللهم إنى برىء منهـا ، متخـل عنها ، اللهم إنى لا أجد نفـرا كأهل الشـورى فأجعلها إليهم ينصبون من يرونه أهـلا لهـا .

وقد استعـان مـلوك بنى أميـة فى سياستهم بجماعة من الولاة والقواد ينتقونهم انتقـاء حتى يمكنوا لسلطانهم .. وكان لبعض هؤلاء الولاة شخصية متميزة لها أثر كبير فى الرعية ومن هؤلاء :

---

(٤) مـروج الذهب ١/٤٤٠ .
(٥) تاريخ النقائض فى الشعـر العـربى د. أحمد الشايب ص ١٥٩ ( بتصـرف ) .

عمرو بن العاص فى مصـر ، والحجاج الثقفى الطاغية المعروف ، وبشـر بن مـروان ، والحارث بن أبى ربيعـة المخزومى ، والمهلب بن أبى صفـرة وأولاده ، وسلك هؤلاء مسلك الخلفـاء فى سياسة الترغيب والترهيب فاغدقوا المـال على الانصـار والخصوم ، استبقـاء لمعـونة هؤلاء ، وتخفيفا من نقمة أولئـك .

* * *

## ٢ ـ الشيعـــة

وهم انصـار على ـ كـرم الله وجهـه ـ « وكانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبى ـ ﷺ ـ أن اهـل بيته أولى ان يخلفوه ، واولى اهـل البيت العباس عم النبى ، وعلى ابن عمه ، وعلى أولى من العبـاس ، والعباس نفسـه لم ينازع عليـا فى اولويته للخـلافة ، ولكن اتباع على يومئذ كانوا يعـرفون بالعلوية وكذلك مدة حياته وبعد مماته مع الدلالة عليهم باسم ( الشيعة ) »(١) .

بعد أن بويع على بالخـلافة اختـار الكوفة مقـرا له ، وعاصمـة لخلافته ، وشايعه كثير من العراقيين ، وصـارت العـراق وخاصة الكوفة موئلا للشيعـة وكانت هنـاك اسباب لإقبـال العراقيين عـامة والكوفة خاصـة على التشيع :

- وجد ( ابن سبأ ) فى الكوفة مرتعـا خصبا لدعـوته الثـورية الواسعة ضد عثمان ، إذ كانت فى ذلك الوقت مرجلا يغلى بالسخط عليـه ، وعلى الرغم من أن ( ابن سبأ ) طـرد من الكوفة فإنه ظـل وهو فى مصـر يتصـل بالثائرين فى الكوفة ويتبادل معهم الرسـائل .

وبهذا يمكن القول إن شجرة التشيع قد غرست فى الكوفة فى أيام تلك الفتنـة الكبرى(٢) .

---

(١) فجر الإسلام : أحمد أمين ، ٢٦٦ . وراجع : أعيان الشيعة ٣٤/١ وشرح نهج البلاغة ٥٢٠/٤ ، ٢/٢ ، أدب السياسة ص ٣٠ .

(٢) الطبرى ٢٩٢٢/٦ ، حياة الشعر فى الكوفة ص ٥٢ .

- انتشار الموالى فى الكوفة انتشارا واسعا ، ومعظمهم من أصل فارسى ، وفى التشيع نصرة لابناء على الذين تربطهم بهم صلة مصاهرة إذ تزوج الحسين إحدى بنات يزدجرد .
- كان أكثر سكان العراق من العدنانيين وخاصة قيس ومضر وتميم فى حين كان أكثر سكان الشام من القحطانيين ، وبين هؤلاء وأولئك عداء قديم .
- رأى أهل العراق - والكوفة - أن عليا أجدر بالخلافة من معاوية لورعه وتقواه وزهده وقربه من الرسول - ﷺ (٣) .

بعد مقتل على - كرم الله وجهه - راجت الدعوة لابنه الحسن وبايعه أهل الكوفة ، وقضى بالخلافة ستة أشهر ، واستعد لقتال معاوية لكن أهل الكوفة خذلوه ، فتصالح مع معاوية وتنازل عن الخلافة سنة ٤٠ هـ .

وتوارى التشيع من الكوفة حينا ، وانضم أهلها إلى معاوية ، لكن التشيع ما لبث أن عاد مرة أخرى بعد أن أصدر معاوية أمره إلى ( المغيرة بن شعبة ) بسب ( على ) على منابر الكوفة حتى يبغض أهلها فى ( على ) وبينه .

ولكى تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، ويزداد غضب الكوفيين على ( معاوية ) ، « وكانت هذه اللعنات التى كان يصبها ( المغيرة بن شعبة ) على ( على ) هى الزيت الذى يسكبه ( معاوية ) على هذه الجذوة ، فازداد اشتعالها وتوقدها ، إذ هاج الشيعة ، وقبض ( زياد )

(٣) أدب السياسة ص ٣٤ وما بعدها ، حياة الشعر فى الكوفة ص ٥٢ .

والى الكوفة على كبرائهم سنة ٥١ هـ وارسلهم إلى معاوية فقتل منهم ثمانية(٤) ..

ولما تولى ( يزيد ) الخلافة ارسل إلى عامله بالمدينة ليأخذ له البيعة من كبار الصحابة ومنهم ( الحسين بن على ) الذى رفض ، وراسلته الشيعة فى الكوفة أن يخرج إليهم ليقودهم فى حربهم ضد ( يزيد ) لكنهم خذلوه ، ومع ذلك ابلى بلاء عظيما مع القلة التى معه حتى قتلوا جميعا فى كربلاء فى العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ .

وكان قتل ( الحسين ) عاملا مهما فى إذكاء التشيع وثورة الشيعة ونشر مذهبهم بين الفرس الذين عملوا على إسقاط بنى امية حتى تحقق لهم ذلك عام ١٣٢ هـ .

وقد شعر اهل الكوفة بتقصيرهم فى حق ( الحسين ) ، وارادوا تعويض ما فاتهم ، فجمعوا جموعهم يريدون الثار للحسين وخرجوا فى اربعة آلاف ، والتقوا بالأمويين فى ( النخيلة ) وانتهت المعركة بهزيمة الكوفيين على يد ( عبيد الله بن زياد ) .

* * *

(٤) راجع : الطبرى ١٤١/٦ ـ ١٦١ ، وحياة الشعر فى الكوفة ص ٦٤، وأدب السياسة ص ٣٩ .

### ٣ ـ الخـــوارج

كان النصـر وشيكا لعلى وجنـده لكن جند ( معـاوية ) رفعـوا المصاحف على أسنة الرماح ونادى مناديهم : ( الله الله فى العـرب ، الله الله فى الاسلام، كتاب الله بيننا وبينكم)، حينئذ اختلف انصار ( على ) بين قابل للتحكيم ورافض له . إذ أدرك هؤلاء أنها خدعة لجـأ إليهـا فـريق ( معـاوية ) .

ولمـا قبـل ( على ) التحكيم ومثـله ( أبو موسى الأشعرى ) ، واختـار ( معـاوية ) ( عمـرو بن العاص ) ممثلا عنه ، تحلل إذ ذاك قوم من جند ( على ) ساخطين على التحكيم الذى رضيه وقالوا : ( لا حكم إلا الله) . وطالبوا (عليا) أن يقر بالخطأ على نفسه فإن فعل عادوا إليـه ، لكن عليـا أبى .

فخـرج القوم إلى بلد تسمى ( حـروراء ) ولذا سموا بالحرورية ، كما سمـوا بالمحكمة : أى الذين يقولون ( لا حكم إلا الله ) ، وسمـوا ( بالخـوارج ) لأنهم خرجـوا على ( على ) ـ كـرم الله وجهـه ـ ، وقيـل : لأنهم خرجوا فى سبيل الله ، وسموا ( بالشـراة ) لأنهم اشتروا الحيـاة الأخـرى بالدنيـا وشروا أنفسهم ابتغـاء مرضاة الله(١) .

وظل الخوارج شوكة فى جانب الدولة الأموية يهددونها ويحاربونها حـربا تكاد تكون متواصلة ، فى شدة وشجاعة نادرتين .

ومن أشهر رجـالهم :

---

(١) راجع للتفصيل والاستزادة :
تاريخ الطبرى ، مروج الذهب ، تاريخ اليعقوبى وغيرها .

( نافـع بن الازرق ، وقطـرى بن الفجـاءة ) .

ولو أن الخوارج كانوا كتلة واحدة لكانوا فى منتهى الخطـورة على الدولة الاموية ، لكنهم اختلفوا فصـاروا شيعا متفرقة بلغت نحـو العشرين من أشهرهم :

- **الازارقـة** : أتبـاع ( نافع بن الازرق ) - وكان فقيها مقدما فى فقـه الخوارج .. وقد انتهت زعامتهم أخيرا إلى ( قطـرى بن الفجـاءة ) ثم انقسموا عليـه .

وهذه الفـرقة أكثر فـرق الخوارج عددا ، وأعظمها قـوة ، وأشدها قسوة على مخالفيهم ، بل كانوا اشداء على انفسهم .

ولذا كرههم المسلمون وحاربوهم حتى قضوا عليهم(٢) .

- **النجـدات** : أتبـاع نجدة بن عامر الحنفى ، وكان فى البداية من الازرق إلا أن ( نجدة ) خالف ( نافع بن الازرق ) وانفصـل عنه سنة ٦٦ هـ .

- **الصفـرية** : أتبـاع ( زياد بن الاصفر ) ويطلق عليهم ( صفرية ) أو ( زيادية ) وكان ( زياد ) - ايضـا - من أتباع نافع بن الازرق لكنه انشق عليـه .

- **الإباضيـة** : أتبـاع ( عبد الله بن اباض التميمـى ) - وكان هو ايضا من أتباع ( الازرق ) لكنه انشق عليه .

ولكل فـريق تعاليمـه التى تبعده عن الفـرق الأخرى ، وتزيد هوة الخلاف بينهم . غير أنهم يتميزون جميعا بعدة مميزات أهمها :

- التشدد فى العبـادة ، والانهماك فيها .

---

(٢) راجع : الملل والنحل ١٠٩/١ الفرق بين الفرق : ٦٢ .

- الشجاعة والشدة حين البأس .
- إخلاصهم لعقيدتهم .
- تعصبهم المقوت .

وقد وصفهم أبو حمزة الخارجي ، وهو أحد نساك الاباضية وخطبائهم بقوله :

« شباب والله مكتهلون في شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة ، وأطلاح سهر(٣) ، نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كان زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم ، كلال الليل بكلال النهار ، وقد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك في جنب الله ، حتى إذا رأوا السهام قد فوقت(٤) ، والرماح قد أشرعت ، والسيوف قد انتضيت ، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعد الله ، ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فأسرعت إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء ، فكم من عين في منقار طير ، طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ! وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله - ثم قال : آه آه

---

(٣) أطلاح : جمع طلح وهو المهزول المعيى .
(٤) فوقت : جعلت لها الأفواق ، والفوق - بالضم - موضع الوتر من السهم .

( ثلاثا ) ثم بكى ونزل »(٥) .

وروى أن ( عـروة بن أدية ) وكان مقدما فيهم ـ أتى إلى ( زياد ابن أبى سفيان ) ، فسـأله عن الخلفـاء ، فتولى أبا بكر وعمر وأثنى عليهما ، ووقـع فى عثمان وعلى ، وسب معـاوية سبا قبيحا ، ثم سأله زياد عن نفسـه ، فقال : أولك لزنيـة ، وآخـرك لدعـوة ، وأنت فيما بينهما بعد عاص لربك ، فأمـر زياد فضربت عنقـه ، ثم دعا مولاه ، وقال له : صف لى أمـره واصدق ، فقال : أطنب أم أختصـر ؟ فقال : بل اختصـر .

فقال : ما أتيتـه بطعـام فى نهـار قط ، ولا فرشت له فراشا بليل قط ، وهكذا كان ( ابن أدية ) صواما قواما ، قال الشهرستانى ـ معلقا ـ : هذه معاملته واجتهاده ، وذلك خبثه واعتقاده(٦) .

وهذه الصفات : الشدة فى الدين ، والإخلاص للعقيدة ، والشجاعة النـادرة ، يضاف إليهـا العـربية الخالصـة هى التى جعلت للخوارج أدبا خاصا يمتاز بالقوة شعرا ونثرا(٧) كما سيأتى بعد .

★ ★ ★

---

(٥) البيـان والتبيين ١٢٥/٢ .

(٦) الخليفة المفترى عليه ، عثمان بن عفان : محمد الصادق عرجـون ص ٢٥ وراجع : الفتوة عند العرب ، عمر الدسوقى ص ٢١١ .

(٧) فجـر الإسـلام : ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

## ٤ ـ المـرجئـــة

وكلمـة ( المرجئـة ) ماخوذة من أرجأ بمعنى أمهـل وأخر ، وسموا كذلك لانهم لزموا الحيدة ، ولم يقضوا على أى فـرقة بالخطأ ، وارجـاوا امـر هؤلاء المختلفين الذين سفكوا الدماء إلى الله عز وجل ، فلا يقضون بحكم على هؤلاء ولا على أولئـك .

وقد نشـات المرجئة لمـا راث الخوارج يكفـرون عليـا وعثمـان والقائلين بالتحكيم ، ورات من الشيعة من يكفر أبا بكر وعمـر وعثمان ومن ناصروهم وكلاهما يكفـر الامويين ويلعنهم ، والامويون يقاتلونهم ويرون انهم مبطلون ، وكل طائفة تدعى انها وحدها على الحق ، وان من عداها كافـر وفى ضـلال مبين ، فظهرت هذه الفـرقة تسالم الجميع ولا تكفر طائفة منهم . وقالوا : إننا نطيع الخليفة ولو كان فاسقـا ، ونرجىء امـره إلى الله يتولى حسابه .

« على أن كثيرا من كبرائهم قد نهضوا سياسيا ودينيا لمحاربة بنى امية وتقويض ملكهم . فـ ( سعيد بن جبير ) ثار على ( عبد الملك ) وعلى ( الحجاج ) وقتـل شهيدا . ( وغيلان بن مـروان ) صلب ومثل به فى عهد ( هشـام ) »(١) .

ومن اشهر شعراء المرجئة : ( ثابت قطنـة ) ، الذى كشف عن مذهبهم فى قصيدة يقول فيها(٢) :

**نرجـى الامـــور إذا كانت مشبهـــة**
**ونصـدق القـول فيمن جـار أو عنـدا**

---

(١) أدب السياسة ، د. أحمد الحوفى ، ص ١٢٧ .
(٢) الأغـانى : ١٣/٥٠ .

المسلمـون على الإســلام كلهـم
والمشـركون استـووا فى دينهم قـددا

وقد اتهمهم البعض بالكفر والشـرك ، فهذا ( نصـر بن سيار ) يقـول(٣) :

فامنـح جهـــادك من لم يرج آخـــرة
وكـن عـــدوا لقـــوم لا يصـــلونا

واقتـــل مـواليهم منـا وناصـــرهم
حينـــا تكفـــرهم والعنهـم حينـــا

والقـــائلين سبيـــل الله بغيتنـــا
شـر العبـــاد إذا خـابرتهم دينـــا

والقـــائلين غضبـــا لله بغيتنـــا
لبعـــد مـا نكبـوا عمـا بقـــولونا

فاقتلهـــم غضبـــا لله منتصـــرا
منهـم بـه ودع المـرتاب مفتـــونا

إرجاؤكم لـزكم والشـــرك فى قـرن
فـانتم أهـــل إشـــراك ومرجـــونا

لا يبعـد الله فى الاجـــداث غيـركم
إذ كـان دينـكم بالشـــرك مقـرونا

القـى به الله رعبـــا فى نحـــوركم
والله يقضى لنـــا الحسـنى ويعلينـــا

* * *

(٣) تاريخ الطبرى ٨/٢٢٣ .

## ٥ ـ الزبيـريون

ترجـع نشـأة هذا الحزب إلى ما بعد مقتل عثمان ، ولذلك أن ( الزبير بن العوام ) و ( طلحة بن عبيد الله ) بايعا ( على بن أبى طالب ) ثم خرجا من المدينة بدعـوى العمـرة ونقضـا ببيعتهما ، وكانت السيدة عائشة بمكة ، فانضمت إليهما ، وثاروا على على ـ كـرم الله وجهـه(١) ـ .

---

(٣) ذكـرالقرطبى عند تفسير قول الله تعالى ( **وقرن فى بيوتكن** .. الآية ) أن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت كلمـا سمعت سمعت هذه الآية تبكى حتى تبل خمارها . هكذا عن الثعلبى . ونقـل القرطبى عن ابن عطية : أن بكاء عائشة رضى الله عنهـا إنما كان بسبب سفرها أيام الجمـل ، وحينئذ قال لهـا عمار : إن الله قد أمـرك أن تقرى فى بيتك .

قال ابن العربى :

تعلق الرافضـة ـ لعنهم الله ـ بهذه الآية على أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ إذ قالوا : إنها خالفت أمـر رسول الله ـ ﷺ ـ حين خرجت تقود الجيش وتباشر الحروب ، وتقتحم مازق الطعن والضرب فيما لم يفرض عليها ولا يجـوز لها .

قالوا : ولقد حصر عثمان ، فلمـا رأت ذلك أمـرت برواحلها فقربت لتخـرج إلى مكة ، فقال لها مـروان : أقيمى هنا يا أم المؤمنين ، وردى هؤلاء الرعاع ، فإن الاصلاح بين الناس خير من حجـك .

=

وكان ( عبد الله بن الزبير ) من أشد الدعـاة إلى حرب ( على )، ويقال إنه كان يطمـع فى الخـلافة .

وقد اعتمد حـزبه فى الدعوة إليه على أسباب :

---

=

قال ابن العربى : قال علمـاؤنا رحمة الله عليهم ـ إن عائشـة رضى الله عنها نذرت الحج قبـل الفتنة فلم تر التخلف عن نذرها ، ولو خرجت فى تلك الثائرة لكان ذلك صوابا لها .

وأما خروجها إلى حرب الجمـل فما خرجت لحـرب ، ولكن تعلق الناس بها ، وشكوا إليهـا ما صـاروا إليه من عظيم الفتنـة وتهارج الناس ، ورجـوا بركتها ، وطمعوا فى الاستحياء منهـا إذا وقفت إلى الخلق ، وظنت هى ذلك فخرجت مقتدية بالله فى قوله :

( لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمـر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ) ، وقوله : ( **وإن طائفتـان من المؤمنـين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** ) . والأمـر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكـر وأنثى ، حـر وعبد ، فلم يرد الله تعـالى بسابق قضـائه ونافذ حكمه أن يقـع إصـلاح ، ولكن جـرت مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان ، فعمد بعضهم إلى الجمـل فعرقبه ، فلما سقط الجمـل لجنبه أدرك محمد بن أبى بكر عائشة ـ رضى الله عنها ـ فاحتملهـا إلى البصرة ، وخرجت فى ثلاثين امرأة قرنهن ( على ) بها حتى أوصلوها إلى المدينة برة ، تقية ، مصيبة ، مثابة فيما تأولت ، مأجورة فيما فعلت .

الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، ط دار الشعب .

- أن الخلافة حق لقريش وحدها - كما أعلن ( أبو بكر ) يوم السقيفة - وأن ( عبد الله ) هو أكفأ القرشيين لها .
- أن ( عثمان ) حينما حوصر أمر على داره (عبد الله بن الزبير)
- أن ( عبد الله ) يمت إلى الرسول بعدة صلات :

فأبوه الزبير حوارى الرسول ، وابن عمة صفية ، وابن أخى خديجة - رضى الله عنها ، وهو من السابقين إلى الإسلام ، وأبلى فى الغزوات بلاء حسنا ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين اختارهم ( عمر ) لينتخبوا خليفة من بينهم .

وقد بدأ ( عبد الله ) يدعو لنفسه بعد مقتل ( الحسين ) ، وكان قد نقض بيعة يزيد ، وهرب من المدينة إلى مكة . وظل الأمويون يحاولون القضاء عليه وعلى أعوانه حتى مات ( يزيد ) ، ثم ( معاوية الثانى ) ، وكادت الخلافة تؤول إلى ( ابن الزبير ) إذ استجابت له الحجاز والعراق ومصر والشام ما عدا الأردن . بل إن ( مروان ابن الحكم ) زعيم بنى أمية نفسه هم أن يبايع ( ابن الزبير ) لولا أن منعه ( عبيد الله بن زياد) واستثاره لحربه . . وانهزم جيش ( ابن الزبير ) فى وقعة ( مرج راهط ٦٤ - ٦٥ ) .

وتولى الخلافة ( عبد الملك بن مروان ) الذى بعث ( الحجاج ) إلى ( عبد الله بن الزبير ) فحاصر مكة ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة ، وضرب الكعبة بالمجانيق فاحترقت سنة ٧٣ هـ ، وتخلى أتباع ( ابن الزبير ) عنه لكنه لم يستسلم وثبت حتى قتل سنة ٧٣ هـ ، وصلبه ( الحجاج ) بمكة .

ومن أشهر شعـراء الزبيريين : ( عبد الله بن قيس الرقيات ) ، ( وأبو وجـزة السعدى ) .

هذه هى أهم الأحـزاب السياسية التى نتجت عن الصراع بين على ومعـاوية(٢) ، وكان الصـراع بين هذه الأحزاب قد أثمـر ثمـرا عظيما تمثـل فى تراث أدبى رائع .

ذلك أن لكل حزب أدباءه وشعراءه المنافحين عنه ، وكان الأدب آنذاك بمثـابة وسـائل الإعلام اليوم .

ويعد الأدب الأموى سجلا مهما ورافدا أساسيا لتاريخ ذلك العصر لأن الشعراء كانوا يسجلون بشعرهم هذه الصراعات ، ويصورون المعارك الحـربية ، تارة مفتخرين وأخرى معتذرين .

* * *

---

(٢) تاريخ الطبرى ٨/٢٣٣ .

(٢) يذكـر بعض المؤرخين أن نشـأة بعض هذه الفـرق كان سـابقا على الصراع بين على ومعـاوية .. فالتشيع مثلا بدأ فى خـلافة عثمان على يد عبد الله بن سبأ المعـروف بابن السوداء .. وذكروا: أن : الخوارج فرقة تمتد جذورها إلى عهد النبى - ﷺ - وان من متقدميهم الذين اشتركوا فى إشعال نيران الفتنـة العثمانية ( ابن الكواء ) وهو من رءوسهم ، خـرج على عثمان بن عفـان رضى الله عنه فى جماعة من أهل الكوفة .

راجع : فجر الإسلام لأحمد أمين ، والخليفة المفترى عليه عثمان ابن عفان ، لمحمد الصادق عرجون .

## ثانيا : مجتمع العصر الاموى

توفى الرسول - ﷺ - ولم يتعد الإسلام جزيرة العرب ، ثم تتابعت الفتوح بعد ، ففتح العراق وكان يسكنه بعض العرب، من ربيعة ومضر ، وبعض الفرس ، وانشأ العرب مدينتى الكوفة والبصرة بأمر عمر بن الخطاب .

وفتحت فارس وكان يسكنها الفرس وقليل من اليهود وبعض الرومانيين . وفتح الشام وكان قد ورث كثيرا من مدنيات الأمم الغابرة من فينيقيين وأموريين وكنعانيين ، وفراعنة ، ويونان ، ورومان ..

وكان يسكن الشام عند الفتح الإسلامى السوريون أهل البلاد والأرمن واليهود وبعض الروم وبعض القبائل العربية مثل غسان ولخم وجذام وكلب وقضاعة وبعض تغلب .

وفتحت مصر فى عهد عمر بن الخطاب وكان يسكنها المصريون ومزيج من أمم أخرى كاليهود والرومان .

وفتحت بلاد المغرب من برقة وتونس والجزائر ومراكش إلى مضيق جبل طارق وكانت فى يد الرومان .

ثم فتحت السند وبخارى وخوارزم وسمرقند، وكذلك فتحت الأندلس لكن اثرها لم يظهر فى هذا العصر .

نتج عن هذه الفتوح امتزاج قوى بين الأمة الفاتحة والأمم المفتوحة مزج فى الدم ، ومزج فى النظم الاجتماعية ، والآراء العقلية ، والعقائد الدينية .

وأسفرت هذه الفتوح عن أرقاء كثير من الأمم المفتوحة كثرة هائلة حتى يروى المسعودى :

أن الزبير بن العوام كان له ألف عبد وألف أمة (١) .

هؤلاء الأرقاء أنتجوا عددا عديدا فى الجيل الثانى منهم من يعد سادات التابعين ، وخير المسلمين (٢) .

امتزجت العادات الفارسية والرومانية بالعادات العربية ، وتاثرت الحياة فى شتى جوانبها من هذا الامتزاج .

واتسعت الحضارة فى أيام الأمويين ، إذ بنيت المدن والدور والقصور وتدفقت الاموال من البلاد المفتوحة إلى الشام ودمشق خاصة فكثر الترف وخصوصا بين أمراء البيت المالك ورجال الدولة ، وعم الرخاء سائر البلاد ، حتى وصل الامر يوما - فى خلافة عمر بن عبد العزيز ( ٩٩ - ١٠١ هـ ) - إلى أن الرجل كان يحمل زكاته على يده ويطوف بها فى أرجاء الامبراطورية فلا يجد مستحقا يدفعها إليه (٣)

ونستطيع أن نتوقف قليلا عند الحواضر الكبرى آنذاك لنتعرف على حالة أهلها :

**المدينة ومكة :**

إذا كانت الخلافة قد تحولت من المدينة إلى دمشق فإنها ظلت تحتفظ بالتراث الدينى ، كما ظلت مستقرا لأكثر طوائف المجتمع العربى رقة ودماثة . وهيأت لذلك عوامل مختلفة من ( الثراء الواسع ) ومما دخلها من عناصر أجنبية كثيرة أسرعت بها إلى التحضر ، بل إلى الترف البالغ .

---

(١) راجع : فجر الإسلام ، أحمد أمين ص ٨٨ .
(٢) نفسه : ص ٩١ .
(٣) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ٣٥٤/١ .

أما الثراء فمرجعه إلى ما خلفه فيها الصّحابة الأولون لأبنائهم من أموال جلبوها من الفتوح ، فقد رجعوا إليها بحمول الذهب والفضة والجواهر ، وابتنوا القصور ، وبالغوا فى تجميلها وزخرفتها ، واتخذوا الخدم من الرقيق المجتلب .

وكان الامويون يغدقون عليهم إغداقا استرضاء لهم .

ولم تكن مكة اقل ثراء ورفاهية من المدينة ، فقد تحضرت تحضرا كبيرا ، حتى إن معاوية ابتنى له فيها دورا استحضر لها بنائين من الفرس ، ومع ذلك كان إذا حج وقف مبهوتا إزاء بعض القصور الاخرى

وغرقت مكة فى الترف والنعيم حتى إن نفرا من اهلها كانوا ياكلون ويشربون فى صحاف من ذهب وفضة .

وقد نتج عن هذا الترف والنعيم فى المدينة ومكة شباب عاطل كان يقضى وقته فى سماع الغناء واللهو وكان يغنى لهم الموالى(٤) .

**الكوفة والبصرة :**

لما فتح المسلمون العراق أمر ( عمر بن الخطاب ) ببناء مدينتى الكوفة والبصرة ، أما الكوفة : فقد نزلها كبار الصحابة واقاموا فيها دورا لهم ، فقد نزلها سبعون بدريا ، وثلاثمائة من أصحاب الشجرة ، ولذلك قيل عنها : ( إنها منزل خيار الصحابة ) .

وكان لهؤلاء الصحابة إقطاعات كبيرة ، أقطعها إياهم ( عمر بن الخطاب ) فبنوا فيها دورا كانت بمثابة قصور .

وأصبح هؤلاء الصحابة ذوى ثروات ضخمة وأشبهوا (المليونيرات) فى عصرنا . فهذا الصحابى الجليل ( خباب بن الأرت ) أحد البدريين

---

(٤) راجع : العصر الإسلامى : د. شوقى ضيف، ١٣٩ ـ ١٤٨ .

الذين نزلوا الكوفة يقول : « لقد رأيتنى مع رسول الله - ﷺ - ما أملك دينـارا ولا درهما ، وإن فى ناحية بيتى فى تابوتى لأربعين ألف ألف، ولقد خشيت أن نكون قد عجلت لنـا طيباتنا فى حياتنا الدنيا »(٥) .

وأما البصـرة ، فقد كانت مذعنة لـ ( معـاوية ) وابنه (يزيد) ، وكان وقوعها بالقـرب من الخليج العـربى مهيئا لازدهار التجارة بها ، وكانت الزراعـة مزدهرة بها ولا سيما زراعة النخيـل بفضل النهيرات الكثيرة التى اشتقت من دجلة .. وأيام ( ابن الزبير ) كانت تابعـة له وولى عليها أخاه ( مصعبا ) وما لبثت أن عادت ولاية أموية ، وليهـا ( الحجاج الثقفى ) لأكثر من عشرين عـاما ، وتعصب لقبيلته الكبرى قيس فجنحت إليه وجنح إليها ، ولك أن تتخيل كيف كان يغدق على قبيلتـه حتى ينـال تأييـدها فى إخمـاد الثـورات التى تقـوم هنـا وهنـاك(٦) .

**خـراســـان :**

أما خراســان فيمكن أن يرد شيوع المديح فيها إلى ظهور طبقـة ضخمة من الأثرياء كانت أخلاطا من الحكام الذين أداروا شئون الدولة فى الخـراج ومن الأغنيـاء الذين ملكوا الإقطاعات ، بينما ظل وراءهم جميعـا جمهور كبير يتلقى منهم رزقه إما بالعمل لهم ، وإما بما يقدم لهم من مديح ، يقول ذو الرمة(٧) :

---

(٥) الطبقات الكبرى : ابن سعد ، ١٧١/١/٣ ، حياة الشعر فى الكوفة ١٦٤ ، الوافى : درهم وأربعة دوانق .

(٦) راجع : العصر الإسلامى د. شوقى ضيف ، ص ١٦١ وما قبلها .

(١) ديوانه ٦٣٣ ، العصر الإسـلامى ص ٢٠٨ . والخضرم : كثـير الخير والجـود .

**ومـا كان مـالى مـن تـراث ورثتـه**
**ولا ديـة كـانت ولا كسـب مـائـم**

**ولكن عطـاء الله من كـل رحـلة**
**إلى كـل محجـوب السـرادق خضـرم**

ويمكن تقسيم المجتمع الأموى بعامة إلى طبقات :

- **الطبقـة الأولى :** يصفها بعضهم بأنهـا ( أرستقراطية ) وهـذه الطبقة تمثلها طائفتان :

( أ ) **الطائفة الأولى :** وهم كبار الصحابة الذين أخذوا مكانتهم من صحبتهم للرسول ـ ﷺ ـ ولإذعانهم لما كان يأمـر به وينهى عنه ، ولبلائهم العظيم فى الغـزوات مع الرسول ﷺ .

وقد عـرفنا أنهـم أثروا ثراء من العطـايا التى كان يوزعهـا عليهم ( عمـر بن الخطاب ) ـ رضى الله عنه ـ .

( ب ) **الطائفة الثـانية :** وهم أولئك الذين اعتمدوا على الشرف التليد الموروث ، والطارف المكتسب ، وهؤلاء هم بيت الخلافة ، والولاة والعمـال ورؤساء القبائل وأشرافها ..

- **الطبقة الثانيـة :** وهم الجند المقاتلون ، وأولئك الذين لم يتـح لهم حظ من الثراء .
- **الطبقة الثالثـة :** وهم الأعاجم ( المـوالى ) الذين انتشروا فى أرجاء الدولة الإسلامية .. حتى إنهم كانوا يزيدون عددا فى بعض المدن على العرب . فهذه الكوفة مثـلا كان أكثر من نصف سكانها من المـوالى .

ولم يكن العـرب يسمحون للموالى إلا بالأعمال التى كانوا يأنفون من القيـام بها ، كالزراعة والصناعة والحـرف اليدوية ، أو بالحرف التى لا يجيدها العـرب كجباية الضرائب التى عهدوا بها إلى الدهاقين الفـرس ملاك الأرض الطيبة فى المملكة الساسانية القديمة الذين كانوا يمثلون الأرستقراطية الفارسية .

وامتلأت نفوس الموالى سخطـا وحقدا على العـرب بسبب هـذه المعاملة الشاذة التى لم يقرها الإسلام(٨) ..

* * *

### ثالثا : الثقافة فى ظل بنى امية

ازدهرت الثقافة فى العصر الاموى ازدهارا كبيرا فى شتى العلوم بدءا من القرآن الكريم حفظا وتفسيرا ، والحديث الشريف رواية وتدوينا وكذا الفقه وسائر العلوم ..

وكانت مكة والمدينة - لمكانتهما الدينية - من اهم المراكز العلمية فى ذلك العصر ، يقصدهما طلاب التفسير والحديث والفقه ..

وفى مكة اسس ( عبد الله بن عباس ) حبر الامة ، ترجمان القرآن مدرسة التفسير وقد تخرج على يديه شيوخ كبار امثال : ( سعيد بن جبير ، مجاهد بن جبر ، طاوس بن كيسان ، عكرمة مولى ابن عباس ، عطاء بن ابى رباح ) .

وكان ( معاذ بن جبل ) من افضل شباب الانصار علما وسخاء وحلما وكان يعد من اعلم الصحابة بالحلال والحرام ومن اقرئهم للقرآن ..

واما المدينة فكانت زاخرة بالعلماء الافذاذ امثال : (عمر وعلى) ، لكن اشهر من امتاز بالعلم فيها وتخصص فيه ( زيد بن ثابت ) ، ( وعبد الله بن عمر ) غير ان ( زيدا ) كانت لديه قدرة فائقة على استخراج الاحكام من الكتاب والسنة ومن الراى - إذا لم يكن كتاب ولا سنة - حتى قال ( سليمان بن يسار : « ما كان عمر ولا عثمان يقدمان على زيد بن ثابت احدا فى القضاء والفتوى والفرائض والقراءة»

وكان ذا عقل رياضى ، فكان اعلم الناس بالفرائض ( المواريث ) .

---

(٨) راجع : حياة الشعر فى الكوفة ، ١٦٧ وما بعدها .

وقد أسست فى المدينة مدرسة للتفسير ، أرسى دعائمها ( أبى بن كعب ) ، وتخرج على يديه علمـاء كبار .

وفى الكوفة أسس ( عبد الله بن مسعـود ) مدرسـة التفسـير ، وتخرج على يديه أعـلام فى التفسير مثـل : ( علقمـة ، ومسروق ، وشريح ، والشعبى ) وغيرهم . وتسمى هذه المدرسة فى التفسير بمدرسة أهـل الـرأى .

وفى البصـرة تصدى للفتوى ( أبو موسى الأشعرى ) ، ( أنس بن مالك ) وتخرج فيها : « الحسن البصرى ، وابن سيرين »(١) ..

(١) راجع لمدارس التفسير : مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ، والتفسير والمفسرون : الجزء الأول ، د. محمد حسين الذهبى ، من ص ١٠٤ إلى ص ١٢٨ .

## الحيـاة الادبيـة فى العصـر الأمـوى

نهض لادب فى عصـر بنى أميـة نهضة كبيرة ، كان وراءها عدة عوامل من أهمها :

**١ ـ اهتمام الخلفاء والأمراء بالأدب والأدباء :**

ذلك ان الادب كان فى نظـر هؤلاء وسيلة مهمـة من وسائل التربية اخذوا بها انفسهم ، ونصحوا معلمى ابنـائهم ان يجعلوا هـذا العلم من أسس منهجهم ·

ذكـر الجاحظ وابن عبد ربه :

أن عتبة بن أبى سفيان قال لعبد الصمد مؤدب ولده ـ فيما قال ـ : « علمهم كتاب الله ، ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ·· ثم روهم من الشعر أعفـه ، ومن الحديث أشـرفه ، ولا تخـرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم ··· »(١) ·

وكان للخلفـاء رغبة فى إحيـاء لسـان العـرب ، لانهم تربوا على الفصحى وحب الشعر ، وبعضهم كان شـاعرا ( كالوليد بن يزيد ) · وبعضهم أوتى حاسـة نقدية مرهفة ، وبعضهم رزق حافظة واعيـة ، يستشهد بالشعـر وقت الحـاجة ·

● حدث معـاوية بن أبى سفيان عن نفسـه قال :

« إجعلوا الشعر أكبر همكم ، واكثر دأبكم ، فلقد رأيتنى ليـلة الهرير بصفين وقد اتيت بفـرس اغر محجـل بعيد البطن من الأرض

---

(١) البيان والتبيين ٢/٧٣ ،والعقد الفريد ٢/٢٧٢ ·

وانا اريد الهـرب لشدة البلوى ، فما حملنى على الإقامة إلا ابيـات عمـرون بن الإطنـابة :

ابـت لـى همتـى وابى بـلائى
واخـذى الحمـد بالثمـن الربيـح

وإقحامى علـى المكـروه نفسـى
وضربى هـامة البطـل المشـيح

وقـولى كلمـا جشـأت وجاشـت
مكـانك تحمـدى او تسـتريحى

لادفـع عن مآثـر صـالحات
واحمى بعـد عن عـرض صحيح(٢)

★ ووفد ( الاخطل ) على ( معاوية ) فقال : إنى قد امتدحتك بابيات فاسمعها ، فقال : إن كنت شبهتنى بالحية والاسـد أو الصـقر فلا حاجة لى بهـا ، وإن كنت قلت كما قالت الخنسـاء :

فما بلغ المهـدون للناس مدحـة
وإن اطنبوا إلا والذى فيك افضل

ومـا بلغـت كف امـرى متنـاولا
من المجـد إلا والذى نلت اطـول

فقال الاخطـل : والله لقـد احسـنت ( أى الخنسـاء ) وقـد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما ، ثم انشـد :(٣)

---

(٢) العمـدة ١/٩٠ .
(٣) زهر الاداب للحصرى القيـروانى ص ٢٨٣ ـ تحقيـق البجـاوى ط الحلبى .

إذا مت مات العـرف وانقطع النـدى
فلـــم يبـق إلا من قليـل مصـــــرد

وردت اكـــف السـائلين وامسـكوا
عن الدين والدنيـا بحزن مجـدد

واكثر الخلفـاء الامويين شـــغفا بالادب والشـعر ثلاثة : معـاوية وعبد الملك وهشـام ، حكم كل منهم اكثر من عشرين سـنة ، وكانت لهم عناية بالادباء وخصوصا عبد الملك بن مروان .. وقد بذل بعض خلفـاء بنى امية عناية كبيرة فى جمـع ديوان العـرب واشـعارها واخبارهـا وانسـابها .

فهذا ( الوليـد بن يزيد ) بن عبد الملك حين اراد أن يجمع ديوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها استعار من ( حماد ) ومن ( جناد بن واصل الكوفى ) ما عندهما من الكتب والدواوين فدونها عنده ثم رد إليهما كتبهما(٤) .

ولم يكن ( الوليد بن يزيد ) هو وحـده الذى فعل ذلك ، وإنمـا سـبقه من خلفـــاء بنى امية من اهتـم بمثـل ذلـك ( كالوليـد بن عبد الملك )(٥) .

٣ ـ مجالس الخلفـاء والامـراء :

اتخـذ بنـو امية الادب ـ والشـعر خصوصـا ـ وسـيلة لتعضـيد ملكهـم وتقـوية دعائمهم ، فاغدقوا الامـوال على الشـعراء ترغيبا فى مدحهم وكانت ( أبواب الخلفاء واشباه الخلفاء من ولاة وقـواد وأمراء

---

(٤) الفهرسـت لابن النديم ١٣٤
(٥) مصادر الشعر الجاهلى ص ١٥٨

القبلة التى يتطلع إليهـا كبـار الشـعراء ، والسـدرة التى يحلمـون بالانتهـاء إليهـا والاسـتمتاع بظلهـا الوريـف وأنوارهـا الذهبيـة السـاحرة )(٦) .

وتسـابق الشـعراء لإرضاء الخلفاء والأمراء حتى يفوزوا بأضـخم العطايا ، وكانت مجالس السـمر تعقد فى دور الخلفاء يرتادها الشعراء والمغنون والنقـاد ، وتعقـد المباريات الشعرية ، ويقوم بالتحكيم أولئك النقاد وقد يسهم الخليفة أو الأمير بنصـيب فى النقـد ، أو يسـأل عن أشـعر بيت قيل فى كـذا ... الخ .

★ سـأل عبد الملك بن مروان يوما : أى نسـاء الجاهلية أشعر ؟ فقال الشعبى : الخنسـاء . فقال عبد الملك : ولم فضلتها على غيرها ؟ قال : لقـولها :

**وقائلـه والنـاس قـد فات خطـوها**
**لتدركـه : يا لهف نفسى على صـخر**
**الا ثكلـت أم الـذين غـدوا بـه**
**إلى القبـر ماذا يحملـون إلى القبـر**

فقـال عبد الملك :

أشـعر منها ـ والله ـ التى تقـول :

**مهفهف الكشـح والسربال منخـرق**
**عنـه القميص لسير الليل محتقد**
**لا يأمن الناس ممسـاه ومصـبحه**
**فى كـل فـج وإن لـم يغـز ينتظـر**

---

(٦) تاريخ الشعر العربى / محمد بن عبد العزيز الكفراوى ٧٨/١

ثم قال : يا شعبى ، لعلـه شـق عليك ما سـمعت !

قال الشعبى : اى والله يا امير المؤمنين اشد المشقة(٧) .

**٣ ـ العصـبية القبليـة .**

تلك التى أجج نيرانها الخلفـاء والولاة الامويون ، وكانت هـذه العصبيات أو الخصـومات القبليـة موضوعا خطيرا ، يدلى كل شـاعر فيه بدلوه ، ويحاول أن يأتى بكل ما يسـتطيع من ثناء على قبيلته أو أزهار فخر يتوجها بها ، وقد أصـبح لكل قبيلة شاعرها الـذى يتغنى بمآثرها فى الجاهلية وما كان لها من أيام وحـروب وأمجاد مختلفة ، وفى الوقت نفسـه يصب جام غضبه على القبائل المعادية ، ويحاول أن يطعنها فى صميم شرفها وحسبها الطعنة القاضية .

وأصبحت البصرة والكـوفة مسرحـا لهـذه العصـبيات ، واضحى الشـعر فى هـذا العصر يخوض فى موضوعين كبيرين هما :

ـ الخصومة السـياسية التى اشتعلت بين الخوارج والشـيعة فى جانب والامويين فى جانب آخـر .

ـ الخصـومة القبلية بين العدنانيين والقحطانيين ، وبين بطـون القبائل وشعوبها(٨) .

هـذه الخصـومات اثرت الادب فى العصر الامـوى إثراء كبيـرا ولا سـيما فن النقائض الشـعرية والخطابة السياسية .

---

(٧) أعلام النسـاء فى عالمى الجاهلية والإسلام ٣٠٧/١ وراجع : شعر قبيلة بنى سـليم من الجاهلية حتى نهاية العصر الاموى . رسالة دكتوراه من تاليفنا .

(٨) راجع / العصر الإسلامى ، التطور والتجديد في الشعر الاموى .

واخـذت كل قبيلـة تسـتحث شـعراءها ليرموا خصـومها بهـذه السـهام اللاذعة ، وخصصـوا لتلك المباريات أوقات وأماكن معروفة .

**٤ ـ الأسـواق الأدبيـة .**

واشـهر تلك الأسـواق المربد والكناسة ، وكان المربد ـ خصوصا ـ مسرحـا لنقائض ( جرير والفرزدق والأخطل ) وغيرهـم من الشـعراء الذين اقحموا او اقحموا انفسهم فى المعركة .

وقد اصطفت القبائل وجماهيرها فى حلقات بالمربد والكناسـة ، والناس يقبلون على هـذه الحلقات للفرجـة ، وكل قبيلـة تحـاول أن تستخرج من شاعرها أحد ما فى جعبته من سهام حتى تريش بها القبائل التى عادتها قديما ، ولا تزال تعاديها حديثـا(٩) .

وكان ( الفرزدق والأخطـل ) يعيشـان فى البصرة ولـذلك كانا يختلفان إلى المربد فينشـدان الناس هناك اهاجيهما ، ويستثيران فى ذلك حماس الجماهير ، واصبح الغرض الاساسى من الهجاء الرغبة فى إعجاب الجماهير من الخصوم وغير الخصوم .

**٥ ـ رواية الشـعر وتدوينه .**

ورواية الشـعر الجاهلى لم تبدأ فى عصر الأمويين وإنما بدأت فى العصر الجاهلى ، غير انها فى القرن الثانى الهجرى أخذت فى طورها الثانى وهو ما يصح ان يطلق عليه دور الرواية العلمية ، وهى تقـوم على الحفظ والنقل والإنشـاد ، كالرواية المجـردة فى دورهـا الأول ، وأضيف إليها الضبط والإتقـان والتحقيق والتمحيص والشرح والتفسـير وشىء من الإسـناد .

---

(٩) التطور والتجديد فى الشعر الأموى د / شوقى ضيف ص ١١٠

وكان لكل شاعر رواية هو اول من يسمع شعره ، ويعد أهم وسيلة من وسائل نشر شعره وإذاعته ٠

وقد كان هؤلاء الرواة يكتبون شعر الشاعر ، ويحفظونه فى صحف ودواوين ، ولكنهم مع ذلك يحفظون هذا الشعر فى صدورهم وذاكرتهم وينقلونه فى المجالس والمحافل لإقراءه من صحف(١٠) ٠

أراد ( جرير ) أن يهجو بنى نمير ، فأقبل إلى منزله وقال للحسين روايته :

زد فى دهن سراجك الليلة واعدد الواحاً ودواة ٠ قال : ثم اقبل على هجاء بنى نمير ، فلم يزل حتى ورد عليه قوله :

**فغض الطرف إنك من نمير**
**فلا كعباً بلغت ولا كلابا(١١)**

ومع إنتشار الكتابة وتدوين الشعر إلا أن الرواية ظلت لها مكانتها فى إذاعة الشعر بين الناس شفهيا ٠

**ومن هنا قال جرير :**

**وعاو عوى من غير شىء رميته**
**بقافية انفاذها تقطر الدما**

**خروج بافواه الرواة كانها**
**قرى هندوانى إذا هز صمما(١٢)**

---

(١٠) مصادر الشعر الجاهلى ص ١٨٩ وما بعدها ( بتصرف وإيجاز ) ٠
(١٢) نفسه ١٩١ نقلا عن النقائض ٤٣٠
(١٢) نفسه ١٩٢ نقلا عن النقائض ٤٣٠

ومن الـرواة الشـعراء فى القـرن الأول : الطرمـاح ، ورؤبـة ابن العجاج ، وكان ذو الرمة رواية الراعى ، يروى شعره ويجعله إماما ، وكذلك كان جرير والفرزدق ، وعنهما أخذ علمـاء القرن الثانى بعض علمهم عن الجاهلية وشعرها .

قال الجاحظ :

إن الفرزدق راوية الناس وشـاعرهم وصـاحب أخبارهم . وقال يونس بن حبيب : لولا شـعر الفرزدق لذهب نصـف أخبار الناس .. وهـذه أبياته التى تدل على معرفته بهؤلاء الشـعراء وبشعرهم معـرفة واضحة المعالم ، يقول الفرزدق(١٣) :

**وهب القصائد لى النوابغ إذ مضوا**
**وأبو يزيد وذو القروح وجرول(١٤**

**والفحـل علقمـة الـذى كانت لـه**
**حلل الملـوك ، كـلامه لا ينحـل**

**وأخـو بنى قيس وهـن قتلنـه**
**ومهلهل الشـعراء ذاك الأول(١٥)**

---

(١٣) ديوانه ٧٢٠ ـ ٧٢١ ، النقائض ٢٠٠ ـ ٢٠١

(١٣) النوابغ : النابغة الجعـدى والذبيانى والشـيبانى . وأبو يزيد : المخبل السعدى . ذو القروح : امرؤ القيس . جرول : الحطيئة.

(١٥) أخو بنى قيس : طرفة بن العبد . هن قتلنه : أى القوافى لأنهـا كانت سـببا فى قتله .

والاعشـــيان كلاهمـــا ومـرقش
واخـو قضاعة قـوله يتمثـل(١٦)

واخـو بنى اسـد عبيـد إذ مضى
وابـو دواد قولـــــه يتنحـــل

وابنـا ابى سـلمى زهيـر وابنـه
وابن الفريعة حين جد المقول(١٧)

والجعفـرى وكـــان بشر قبلـــه
لى من قصائده الكتاب المجمل(١٨)

ولقـــد ورثت لآل اوس منطقـــا
كالسم خالط جانبيه الحنظل(١٩)

والحارثى اخـو الحمـاس ورثتـه
صدعا كما صدع الصفاة المعول(٢٠)

وإلى جانب الشعراء الرواة كان يضطلع بروايته شـعر الشـاعر ابناء قبيلته ، وكيف لا وهو لسـانها المدافع عنها ؟؟

فحينمـا اراد عبد الملك بن مروان أن يسـأل عن ( ذى الإصـبع العدوانى ) واخبـاره ونسـبه ، وحينمـا اراد أن يسـمع من ينشـده قصيدته ( عذير الحى من عـدوان .. ) سـأل فى كل ذلك رجـلا من

---

(١٦) الاعشيان : اعشى قيس واعشى باهلة . اخو قضاعة : ابو الطمحان
(١٧) ابن الفريعة : حسان بن ثابت .
(١٨) الجعفرى : لبيد . بشر هو ابن خازم الاسـدى .
(١٩) اوس : هو اوس بن حجر .
(٢٠) الحارثى : النجاشى .

جديلة ـ وعـدوان قبيلة ذى الإصبع بطن من جديلة ـ فلما أجاب الرجل عن كـل ذلك قال لـه عبد الملك : ( ادن منى ، فإنى أراك بقومـك عالمـا )(٢١) .

وأما أشهر الرواة المدونين فهما : أبو عمرو بن العلاء (ت١٤٥) ، وحماد الرواية ( ت ١٥٦ ) .

فقـد عنيا عناية كبيرة بالشعر القديم ولم تكن عنايتهما مقصورة على دروس شـفهية يلقيانها على تلاميذهما ، وإنما كانا ـ وغيرهما من العلمـاء ـ يملان إلى دواوين ومجمـوعات مكتـوبة توارثاهـا عمن قبلهما ، وذلك فضـلا عما كانا هما يقيدانه ويدونانه مما يسمعان من الأعراب والرواة ..(٢٢)

يقـول الأصمعى(٢٣) :

( جلسـت إلى أبى عمرو بن العلاء عشر حجج ما سـمعته يحتج ببيت إسـلامى ) .

وبلغ به الشـغف بالتدوين أن كتبه ( مـلأت بيتا له إلى قريب من السـقف ، ثم إنه تقـرأ فاحرقها كلها ، فلما رجع إلى علمه الأول لـم يكن عنـده إلا ما حفظه بقلبـه ، وكانت عامة أخبـاره عن أعراب قد أدركـوا الجاهلية ..(٢٤) .

وكان عند حمـاد الرواية كتب فيهـا أخبـار الجاهلية وانسـابها

---

(٢١) الأغانى ٣/٩١ ـ ٩٣
(٢٢) مصادر الشعر الجاهلى ص ١٥٥ بتصرف وإيجاز .
(٢٣) البيان والتبيين ١/٣٢١
(٢٤) نفسـه ص ٣٢١

وأشعارها ، بعضها كتبه بنفسه ، وبعضها كتب من قبله فقراؤه واستفاد منه فى تدوين كتبه ..

وهكذا صارت الرواية علما له أصوله وقواعده ، هذا إلى جانب التدوين الذى اتسع فى أخريات العصر .. وكان لهذا أثره العظيم فى صقل مواهب الشعراء الأمويين .

* * *

## الشعر الأموى
## فنونه وخصائصه

### أولا : فنون الشعر

### ١ - المدح

وهو من أبرز الفنون الشعرية القديمة ، وقد تضاءل شيئا ما بعد مجىء الإسلام ، إلا أنه عاد ليحتل مساحة واسعة على خريطة الشعر فى العصر الأموى . وذلك بسبب :

* الثراء العظيم الذى كان يعيش فيه الخلفاء والأمراء ، فكانوا يغدقون إغداقا ، استمالة لهذا الشاعر أو ذاك ، ورغبة منهم فى إذاعة أمجادهم الطريفة أو التليدة ..

* والعربى - بطبعة يتأثر برأى الناس فيه مدحا أو قدحا ، وقد اكتشف الشاعر العربى ذلك فاستغله أسوأ استغلال ، وابتز الأموال من السادة تحت تأثير الترغيب تارة والترهيب أخرى .

* تفرق الناس واختلافهم إلى أحزاب ، ولكل حزب مؤيدوه من الشعراء المادحين له الهاجين أعداءه . وقد ترددت أسماء كثير من المدوحين على ألسنة الشعراء الأمويين بفضل العطايا السخية .

ومن هؤلاء الممدوحين :

آل ( المهلب بن أبى صفرة ) ولا سيما ابنه ( يزيد ) ٠٠ وكان بنو المهلب ( من العزة والقوة والكرم والجود بحيث قربهم بنو امية إليهم حتى استفاض نفوذهم وكثر محبوهم وأصبحوا بمنزلة قريبة لدى الامويين شبيهة بصلة البرامكة بالعباسيين ٠٠٠(١)

يقول فيهم الشاعر بكير بن الاخنس(٢) :

**نزلت على آل المهلب شاتيا**
**غريبا عن الاوطان فى سنة محل**
**فما زال بى إكرامهم واقتفاؤهم**
**والطافهم حتى حسبتهم اهلى**

ويقول حمزة بن بيض الحنفى فى مدح مخلد بن يزيد بن المهلب(٣) :

**وابيض بهلول إذا جئت داره**
**كفانى واعطانى الذى جئت اسال**
**ويعتبنى يوما إذا كنت عاتبا**
**وإن قلت : زدنى قال : حقا سافعل**
**( تراه إذا ما جئته تطلب الندى**
**كانك تعطيه الذى انت سائله )**

ولم يخرج فن المدح فى هذا العصر عن إطاره الذى رسمه الجاهليون فالشاعر يبدأ المدح بوصف ناقته وما أصابها من إعياء وتعب حتى

---

(١) الادب فى موكب الحضارة الإسلامية ١٢٣
(٢) حماسة أبى تمام ١٦٥/١
(٣) الاغانى ١٥/١٥

وصـل إلى الممدوح ، وذلك لأنه كلمـا كانت الرحلـة شـاقة كان حق المـادح على الممدوح أوفر وأغزر ، وإذا كنا باحثين عن التجديد فى هذا العصر فلا شـك أننا سـنولى عيوننا شـطر شـعر الثلاثة الكبار ( جرير والفرزدق والأخطل ) لنظفر بمـا نريد ، ( لأن نقـاد العصر العباسى وأدباءه اتفقـوا على أنهم أشـعر أهل العصر الأموى )(٤) .. إلا أننـا نجـد هؤلاء فى قصـيدة المدح يسـيرون فى ركاب الجاهليين .

فها هو الفرزدق يقـول :(٥)

**اقـول لحرف لـم يـدع رحلهـا لهـا**
**سـناما وتثوير القطا وهى هجـد**

**عليـك فتى الناس الذى إن بلغته**
**فمـا بعـده فى نائـل متلـدد**

**وإن لـه ناريـن كلتاهمـا لهـا**
**قـرى دائـم قـدام بيتيـه توقـد**

**فهـذى لعبط المشـبعات إذا شـتا**
**وهذى يد فيهـا الحسام المهند(٦)**

وهـذا الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان قائلا :

**إلى امـرى لا تعدينـا نوافلـه**
**اظفـره الله فليهنىء له الظفـر**

---

(٤) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ص ١٣١
(٥) ديوانه ص ١٣
(٦) الحرف : الناقة . وما بعـده فى نائل متلدد : أى ليست بك حاجة إلى غيره . عبط المشبعات : ذبحها .

الخائض الغمر والميمون طائره
خليفة الله يستسقى به المطر
وما الفرات إذا جاشت غواربه
فى حافتيه وفى أوساطه العشر(٧)
وزعزعته رياح الصيف واضطربت
فوق الجآجىء من آذيه غدر
مسحنفر من جبال الروم يستره
منها أكافيف فيها دونه زور
يوماً بأجود منه حين تسأله
ولا بأجهر منه حين يجتهر
مفترش كافتراش الليث كلكله
لوقعة كائن فيها له جزر(٨)
مقدم مائتى الف لمنزلة
ما إن رأى مثلهم جن ولا بشر

---

(٧) تعدينا : تخطئنا . النوافل : العطايا . الغمر : الماء الكثير أو الظلم الشديدة ويقصد هنا المعارك الكثيرة . الميمون طائره : خطه حسن .

(٨) الغوارب : الأمواج . العشر : نوع من الشجر . زعزعته : حركته تحريكا شديدا . الجاجىء : جمع جؤجؤ وهو صدر السفينة . الآذى : الموج . غدر : جمع غدير . مسحنفر : سريع . أكافيف الجبل : جوانبه . زور : ميل . الكاكل : الصدر . الجزر : قطع اللحم تأكلها السباع .

يغشى القناطـر بينيهـا ويهدمهـــا
مســـوم فوقـه الرايـات والقتـــر
حتى يكـون لهم بالطف ماحمـــة
بالثـوية لـــم ينبض بهـــا وتـــر
وتســـــتبين لاقـــوام ضـــــلالتهم
ويســتقيم الذى فى خـــده صـعر
ثم اســـتقل باثقال العـراق وقـد
كانت له نقمـة فيهـــا ومدخـــر
فى نبعة من قريش يعصبون بهـا
ما إن يوازى باعلى نبتها الشـجر
تعلـو الهضاب وحلوا فى أرومتها
اهل الرياء واهل الفخر إن فخروا
حشد على الحق ، عيافو الخنا أنف
إذا المت بهـم مكروهة صبروا
وإن تدجـت على الآفاق مظلمـــة
كان لهم مخرج منها ومعتصر
اعطاهـم الله جـــدا ينصرون بـه
لا جد إلا صغير بعد محتقر(٩)

---

(٩) مســوم : معلـم . القتر : الغبار . الطف : موضع بالقـارب من الكوفة وكذلك الثوية . لم ينبض بهـا وتر : لم يرم بهـا نبل . الصعر : ميل الخد كبرا ( وتيها ) . نبعة : النبع : أجود الشجر . يعصبون بها : يلتزمونها . الرياء : الفضل والمنة .
حشـد : متاهبون . عيافون : تاركون . الخنا : الفحش . الانف : المترفعون عن العار .
تدجت : أظلمت . معتصر : ملجـأ .
الجـد : الحظ .

شمس العداوة حتى يستقاد لهم
واعظم الناس احلاما إذا قدروا(١١)

لا يستقل ذووا الأضغان حربهم
ولا يبين فى عيدانهم خور

فهو يمدح عبد الملك بإمامته للمسلمين ، وأنه من الصلاح بحيث يستقى به المطر ، ثم استعار من النابغة الذبيانى صورة يمدح بها النعمان بن المنذر ويقول فيها :(١٢)

وما الفرات إذا هب الرياح له
تمرى أواذيه العبرين بالزبد

يمده كل واد مترع لجب
فيه ركام من الينبوت والخضد

يظل من خوفه الملاح معتصما
بالخيرزانة بعد الأين والنجد

يوماً بأجود منه سيب نافلة
ولا يحول عطاء اليوم دون غد

فالنابغة يصور الفرات متلاطمة أمواجه ، مرتطمة بالشاطئين ،

---

(١١) شمس : جمع شموس وهو الرجل العسر فى عداوته . يستقاد لهم : يخضع الناس لقيادتهم .

(١٢) راجع المعلقات العشر ص ١٦٩ تمرى : تحلب . الأوازى : الأمواج العبرين : الشاطئين . الينبوت والخضد : ضربان من النبات الخيرزانة : لجام السفينة . الأين : التعب والإعياء . النجد : العرق الذى يتأتى من الإعياء .

تقذفهما بالزبد ، تمده الأدوية الكثيرة مكتسحة بطوفانها الطاغى ما يعترض طريقها من نبات وشجر ، ويحرص على بيان الجو الممتلىء بالرعب والفزع ممثلا فى هذا الملاح الذى يمسك بالخيرزانة التى اتخذها مجدافا وذلك بعد صراع مرير مع الأمواج المتلاطمة ..

والأخطل يصور الفرات متلاطمة أمواجه ، والأشجار على حافتيه ، ورياح الصيف قد زادت من هياج الأمواج وهديرها ، ثم التفت إلى مياه الفرات منحدرة من جبال الروم تتدفق تدفقا ..

إن صورة النابغة كانت ماثلة أمام الأخطل وهو ينشىء قصيدته هذه وقد حاول أن يجدد لكنه لم يخرج عن الإطار الذى رسمه الجاهليون فكان التجديد بقدر .

ونمضى مع الأخطل فى هذه الأبيات فنجده يمدح عبد الملك ويصفه بالشجاعة وشدة البأس ، ثم يمدح أسرة الخليفة - مثلما مدح الجاهليون - فيذكر أرومة نسبه ، وشرف قومه ، وأنهم منزهون عن قول الفحش ، متحدون مجتمعون على الحق ، صابرون عند المكاره ، أصحاب رأى سديد ينير المشاكل المظلمة ، وهم مع ذلك كله قد أوتوا حظا عظيما لكنهم لا يبطرون ولا يطغون ، عداوتهم شديدة ، يعفون عند المقدرة شجعان بواسل .. الخ ما جاء فى القصيدة .

ومن الشعراء الأمويين المداحين ( من كان الشعر يجرى على لسانه رفيقا رقيقا ، وكأنه سبحات الماء تجرى فى الجدول الرقراق لينا وعذوبة ، فهذا ( عدى بن الرقاع العاملى ) الشاعر الشامى الذى انقطع للوليد بن عبد الملك ، يقول فيه ما يقوله الشيعة فى أئمتهم(١٣) :

---

(١٣) ديوانه ٨٢ - ٨٣ ط دار الكتب العلمية ، وانظر / الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية ص ١١٨

صلى الذى الصلوات الطيبات لـه
والمؤمنون إذا ما جمعوا الجمعا
على الذى سبق الاقوام ضاحية
بالاجر والحمد حتى صاحباه معا
لا يبرح المرء يستقرى مضاجعه
حتى يقيم باعلاهن مضطجعا
هو الذى جمع الرحمن امته
على يديه وكانوا قبله شيعا
عذنا بذى العرش ان نحيا ونفقده
وان نكون لراع بعده تبعا
إن الوليد اميـر المؤمنين لـه
ملك عليه اعان الله فارتفعا
لا يمنع الناس ما اعطى الذين هم
لـه عباد ولا يعطون ما منعا

إنه شعر رائق ، لكن المبالغة فيه واضحة ، والغلو كبير ، فانت حين تقرأ :

صلى الذى .....

..... البيت

والذى يليه تشعر انه يتحدث عن الرسول - ﷺ - إلا انك تفاجأ بالحديث عن ( الوليد بن عبد الملك ) ، والشاعر يشتد فى غلوه ويمعن فيه ، فلا يرضى عن ( الوليد ) بديلا فى الخلافة ، ومن هنا غضب ( سليمان بن عبد الملك ) واستدعى ( عديا ) ليؤنبه على قوله ، فما كان من الشاعر إلا ان غير البيت هكذا :

معـــاذ ربى ان نبقى ونفقـــدهم
وان نكـــون لـــراع بعـــدهم تبعـــا

. . . . . .

وهكذا كان المدح فى العصر الاموى يدور فى الإطار المرسوم منـذ العصر الجـاهلى .

إلا أن التجـديد كان فى تـلك المعانى المستمدة من الإسـلام ، حين يصـف الشـعراء ممدوحيهم بالهداية والتقـوى والورع ، وأن عناية الله أرسـلتهم للم الشـمل وجمع الكلمة وتوحيـد الصف .

يقول ( الفرزدق ) مادحا ( سليمان بن عبد الملك ) :

به كشـــف الله البـــلاء واشرقت
لـــه الارض والآفاق نحس هـــلالها

ويقول :

وجـدنا بنى مروان اوتـاد ديننـا
كما الارض اوتاد عليهـا جبالهـا

فانتم لهـذا الـدين كالقبلـة التى
بهـا إن يضل الناس يهدى ضلالها

ويقول ( جرير ) مادحا ( معاوية بن هشام ) :

الله دمـــر ( عبـادا ) وشـــيعته
عـادات ربك فى امثـال ( عباد )

قد كان قال امير المؤمنين لهـــم
ما يعلـم الله من صـدق وإجهـاد

من يهـده الله يهتـد لا مضـل له
ومن اضـل فما يهديه من هـادى

لقـــد تبـين إذ غبـت امـــورهم
قـوم الجحافى امـرا غبـه بادى

لاقوا بعـوث امير المؤمنين لهـــم
كالـريح إذ بعثت نحسا على عاد

فيهـــم ملائكـة الرحمن ما لهـم
ســـوى التوكل والتسبيح من زاد

انصـــار حـق على بلق سمـومة
امـداد ربـك كانوا خيـر امـــداد

وواضح فى هذه الأبيات اقتباس الشاعر من القرآن الكريم ، وفيها لا يمدح معاوية بقوة فى شخصه ، وإنما بانه قوى بهداية الله وتسـديده خطاه ، وان الله يقهر أعداءه كما قهر أعداء الأنبياء ، وانه مؤيد كتأييد الرسـول بملائكة الله فى غزوة بدر ..

وكان اكثر المديح فى هـذا العصر مبالغـا فيـه ، واحيانا يوصف الممدوح بما ليس فيه ، مثل ما فعل ( جرير ) مع ( يزيد بن عبد الملك ) الذى عرف عنه مجونه ولهوه وعبثه وفسـقه وظلمه .. ومع ذلك يقـول فيـه ( جرير ) :

هذى البرية ترضى ما رضيت لهـا
إن سرت ساروا ،وإن قلت اربعوا وقفوا

هو الخليفة فارضوا ما قضى لكـم
بالحـق يصـدع ما فى قوله جنف

يقضى القضاء الذى يشفى النفاق به
فاسـتبشر الناس بالحق إذ عرفـوا

**انت المبـارك والميمـون مسـيرتـه**
**لولا تقـوم درء الناس لاختلفـوا**

ارأيت كيف جعله فى مصاف العادلين الصادعين بالحق !! ٠

حقا ( والشـعراء يتبعهـم الغـاوون ٠ ألم تر أنهـم فى كل واد يهيمون ٠ وأنهم يقـولون ما لا يفعلون ) (١٤) ٠

ومن هنا : اختلفت صـورة المـدح الاموى عن صورة المدح الجاهلى٠ فالشـاعر الجاهلى ـ غالبا ـ لم يكن يمدح الرجل إلا بما هو فيـه وإذا بالغ وصل حدا مقبولا ، بخلاف المدح الاموى ٠٠

* * *

**٢ ـ الغـــزل**

وهو التحدث إلى النســاء أو عنهن ٠٠ ويمكن أن يفرق بينه وبين التشبيب ، فالاول يصـدر عن إعجاب أو حب ، والثانى لا يعبر عن حب وإعجاب حقيقيين ، وإنما يكـون هدفه الاول النيـل من كـرامة أهـل المشبب بها ٠ ويمكننا أن نقسم الغزل الاموى إلى أقسام :

**( ١ ) الغزل الكيـدى ( التشبيب ) ٠**

ولهذا التشبيب نظير فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام ، ويطلـه فى الجاهلية ( قيس بن الخطيم ) الذى شبب بعمرة بنت رواحة ٠

أما فى العصر الاموى فأبرز شـعراء هـذا النـوع ( العرجى ) ، و ( عبد الرحمن بن حسان ) ، و ( ابن قيس الرقيات ) وغيرهم فقد شبب ( العرجى ) بأم الوالى ( محمد بن هشام ) ، وبزوجته ٠

---

(١٤) سـورة الشعراء الآيات ( ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ) ٠

يقول فى ( جيـداء ) أم الوالى(١٥) :

عوجى علينـا ربـة الهـودج
إنـكِ إلا تفعـلى تحـرجى
نلبث حـولا كامـلا كلـه
ما نلتقـى إلا على منهـج
فى الحج إن حجـت وماذا منى
وأهلـه إن هـى لـم تججـج

ذكر الأصفهانى : ( أن عطاء بن أبى رباح ) أنشـد قول العرجى هذا فقال : الخير والله كله بمنى وأهله حجت أو لم تحج .

وقال ( العرجى ) فى ( جبرة المخزومية ) زوجة الوالى محمد ابن هشـام(١٦) :

عوجى علـى فسلمى ( جبـر )
فيـم الصـدود وانتـم سـفر
مـا نلتقـى إلا ثـلاث منـى
حتـى يفـرق بيننـا النفـر
الحـول بعـد الحـول يتبعـه
ما الدهـر إلا الحلـول والشـهر

وشبب ( عبد الرحمن بن حسان ) ( برملة بنت معاوية ) ويبـدو انه كان ينتقم بهـذا التشبيب من معاوية الذى أمر ( مروان بن الحكم ) والى المدينـة أن يضرب ( عبد الرحمن بن حسـان ) و ( عبد الرحمن

---

(١٥) الأغانى ٤٠٧/١
(١٦) نفسـه ٤٠٨/١

ابن الحكم ) مائة سوط بسبب تهاجيهما ، فنفذ فى ( ابن حسان ) وترك أخاه ومما قاله ابن حسان :

رمل هل تذكرين يوم غزال
إذ قطعنا مسيرنا بالتمنى

إذ تقولين عمرك الله هل شىء
وإن جل سوف يسليك عنى

**(ب) الغزل التقليدى .**

وأعنى به ما يفتتح به الشعراء قصائدهم ، وهو قديم من الجاهلية وقد سار الشعراء الأمويون على نهج الجاهلين ..

فهذا ( عدى بن الرقاع العاملى ) يقول(١٧) :

عرف الديار توهما فاعتادها
من بعد ما شمل البلى أبلادها(١٨)

إلا رواسى كلهن قد اصطلى
حمراء أشعل أهلها إيقادها(١٩)

كانت رواحل للقدور فعريت
منهن واستلب الزمان رمادها

إلى أن يقول :

كالظبية البكر الفريدة ترتعى
من أرضها قفراتها وعهادها(٢٠)

---

(١٧) ديوانه ص ٨٢ وما بعدها ـ ط العراق .
(١٨) اعتادها : أتاها مرة بعد أخرى . الأبلال : الآثار .
(١٩) الرواسى : الأثافى . حمراء : النار .
(٢٠) البكر : التى ولدت بطنا ، وبكرها : ولدها . عهادها : جمع عهدة وهو أول ما يقع من المطر .

**خضبت لهـا عقـد البراق جبينها**
**من عركهـا علجانها وعرادها(٢١)**

**كالزين فى وجه العروس تبـذلت**
**بعـد الحياء فلاعبت أرآدها(٢٢)**

**تزجى اغـن كـان إبـرة روقـــه**
**قلم أصاب من الدواة مدادها(٢٣)**

وهـذا الغزل فى العصر الاموى كان نصـيبه من العواطف الحارة محدودا ، لانه ليس صـدى لتجارب وانفعالات مصاحبة لإنشـاد الشعر بل رواسـب لمغامرات قديمة سحب عليهـا الزمن ذيول النسـيان ... وليس هناك اسـتثناء صارخ لهذه الظاهرة إلا ما نراه عند جرير ، وذلك ليقظة حسه وتوتر أعصابه بسبب منازعاته الكثيرة مع الشعراء ...(٢٤)

**(ج) الغـزل الحسى .**

فى لمحتنا التى قدمناها عن الحيـاة الاجتماعية فى هـذا العصر الذى ندرسـه وجدنا أن الترف قد جاءهم ( وغلب عليهم بما حصل لهم

---

(٢١) خضبت : أى اثرت فى جبينها . العقد : جمع عقدة وهو من الشجر ما ثبت أصله . البراق : روابى منها رمل وحجارة . العلجـان : شجر أخضر مظلـم الخضرة ليس فيـه ورق . العرار : الشـوك الذى لم يخضـد .

(٢٢) الزين : نقط فى وجه العروس من زعفران . الآرآد : الاتراب ، واحدها : ريد .

(٢٣) تزجى : تدفع . أغن : صغير ضعيف . إبرة روقة : حدة القرن.

(٢٤) تاريخ الشعر العربى / محمد عبد العزيز الكفـراوى ١٩٨/١ ، جرير ونقائضه مع شعراء عصره ١٠٩ للكفراوى .

من غنائم الأمم ، وصاروا إلى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ )(٢٥) . صحيح ان هذا لم يكن عاما وإنما كان مقصورا على طبقة دون اخرى ـ كما اسلفنا ـ إلا انه اثمر طبقة مترفة من الشباب لا عمل لها ، ولا تجد ما تنفق فيه وقتها سوى اللهو والغناء والمجون . وقد ظهر ذلك واضحا فى مكة والمدينة والطائف وساعدهم على ذلك كثرة الموالى الذين اختلطوا بالمجتمع العربى ، إذ افترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا إلى الحجاز ، وصاروا موالى للعرب ، وغنوا جميعا بالعيدان والطنابر والمعازف والمزامير ... فى هذه البيئة ظهر المغنون .

ففى المدينة ظهر نشيط الفارسى ، وطويس ، وسائب خاسر وغيرهم(٢٦) وصدق القائل(٢٧) :

**إن الشباب والفراغ والجده  مفسدة للمرء أى مفسدة**

شغل الشباب اوقاتهم بالغناء والموسيقى ، وبالحب واللهو والمغامرات العاطفية ، ومن كان منهم شاعرا صور ذلك بشعره .

ويعد إمام هذا اللون فى العصر الاموى ( عمر بن أبى ربيعة ) ويليه ( العرجى ) حفيد عثمان بن عفان ، والاحوص ، ووضاح اليمن.

وكان شعراء هذا اللون يسلكون المسلك القصصى الذين تكون فى قالبه مغامراتهم(**) .

---

(٢٥) مقدمة كتاب الاغانى ١٢/١ ، ١٣ .

(٢٦) مقدمة الأغانى ١٣/١ .

(٢٧) البيت لأبى العتاهية .

(**) راجع للاستزادة : العصر الإسلامى ، والتطور والتجديد فى الشعر الأموى للدكتور **شوقى ضيف** .

ولعل أبرز تلك القصص الشعرية ما قاله ( عمر بن أبى ربيعة ) فى قصيدته الرائية التى منها (٢٨) :

أمـن آل نعـم أنت غـاد فمبكـر
غـداة غـد أم رائـح فمهجـر

بحاجـة نفس لـم تقـل فى جوابها
فتبلـغ عـذرًا والمقـالة تعـذر

تهيـم إلى نعم فـلا الشـمل جامـع
ولا الحبـل موصول ولا القلب مقصر

ولا قـرب نعـم إن دنت لـك نافـع
ولانايهـا يسـلى ولا أنت تصـبر

وفيهـا :

وترنـو بعينيهـا إلى كمـا رنـا
إلى ظبيـة وسـط الخميلة جـؤذر

فلمـا تقضى الليـل إلا أقلـه
وكادت تـوآلى نجمـه تتغـور

أشـارت بأن الحى قد حـان منهـم
هبـوب ولكن موعـد منـك عـزور

فقلـت أباديهـم فإمـا افوتهـم
وإمـا ينـال السـيف ثـارا فيثـار

فقالت : أتحقيقـا لمـا قـال كاشـح
علينـا وتصـديقا لمـا كان يؤثـر

---

(٢٨) ديوانه ص ٦٤ - ٦٧ ، ط هيئة الكتاب .

إلخ ...

وهى أشهر ماله فى هذا المجال . وفى هذا اللون يبرز الحوار المفتوح - ولا سيما عند عمر بن أبى ربيعة - الذى لا ينضب معينه عنده ولا تجف قطراته فى نفسه .

وهذا اللون يعد جديدا فى هذا العصر ، إذ يصور عواطف المرأة العربية التى تحضرت فى هذا العصر ، وغير معقول أن توصف المرأة العربية المتحضرة فى شعر العصر الجاهلى لأنه عصر بداوة .

وكما أنه مما يميز غزل ( عمر بن أبى ربيعة ) أنه استطاع أن يكتب فى هذا الغزل ديوانا ضخما لأول مرة .

**( د ) الغزل العذرى .**

ومرطنه الأول البادية لما فيها من تقاليد وأعراف أخذ أهلها بها ، فالاتصال أو الاختلاط أمر عسير. وينسب إلى قبيلة (عذرة) إحدى قبائل قضاعة لأن شعراءها أكثروا من التغنى به ونظمه .

وفى هذا اللون من الغزل ( تقرأ لوعة المحبين ، وظمأهم إلى رؤية معشوقاتهم ظمأ لا يقف عند حد ، ظمأ نحس فيه ضربا من التصوف فالشاعر لاينى يتغنى بمعشوقته ، متذللا متضرعا متوسلا ، فهى ملاكه السماوى ... )(٢٩) .

**واهم ما يميز هذا النوع من الغزل :**

* أن المحبين يحبون حبا حقيقيا ويقصرون حبهم على امرأة واحدة ولا ينتقلون بين النساء لمجرد الجمال كالنحلة بين الأزهار .

---

(٢٩) العصر الإسلامى د/شوقى ضيف ٣٥٩ .

* ويسيطر الحرمان على المحبين فى هذا النوع ، فحديثهم ينصب على هذا الحرمان الذى يلاقونه وما يجره من آلام وأحزان .

* العواطف فيه أعمق ، والانفعال أعنف .

* يذكرون من أهم صفات هؤلاء المحبين ( العفة ) ، لكن العفة لا تتأتى إلا ممن هيئت له أسباب الاتصال بمحبوبته ، لكن هؤلاء حيل بينهم وبين ما يشتهون ومن هنا كانت شكواهم من الحرمان(٣٠) .

* * *

(٣٠) راجع : تاريخ الشعر العربى / الكفراوى ١/٢٢٧ ، ٢٢٨ .

**اشهر شعراء الغزل العذرى :**

١ ـ جميل بن معمر : من قبيلة عذرة ، ومحبوبته بثينة ، وتبدأ قصته معها بانه كان يرعى إبلا له فى واد يقال له ( بغيض ) ، فمرت صاحبته ببعضها فهاجته ، فسبها جميل وسبته ، وفى اثناء الجذب والدفع ملأ كل منهما عينه من صاحبه ، وبدأ يفكر فيه . وهو يشير إلى تلك البداية بقوله (١) :

**واول ما قاد المودة بيننا**
**بوادى بغيض يا بثين سباب**
**وقلت لها قولا فجاءت بمثله**
**لكل كلام يا بثين جواب**

وحيل بينهما ، وحرم منها ، فظل يهذى باسمها ، إذ تزوجت من غيره لكنه لا يسلوها . يقول(٢) :

**وإنى لأرضى من بثينة بالذى**
**لو ابصره الواشى لقرت بلابله**
**بلا ، وبان لا استطيع ، وبالمنى**
**وبالأمل المرجو قد خاب آمله**
**وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى**
**أواخره لا نلتقى واوائله**

ويمتاز شعر جميل بـ :

---

(١) ديوانه ص ٢٤ تحقيق د/حسين نصار .
(٢) نفسه ١٦٩ .

ـ عمق العاطفة ٠

ـ حرارة الانفعال ٠

ـ الصـدق ٠

ـ غلبة الهوى ٠

ـ وشقاء الحرمان ٠

وهذا فى مثل قوله (٣) :

وانت التى إن شـئت كـدرت عيشتى
وإن شئت ـ بعد الله ـ انعمت باليـا

وانت التى مـا من صـديق ولا عدى
يرى نضـوما ابقيت إلا رثى ليـــا

فإنـك لو تجلـين نحـو تهامـــة
او الركن من حوران اصبحت جاليـا

وقد خفت ان يفترنى المـوت بغتـة
وفى النفس حاجات إليـك كما هيـا

وإنى لتثنيـنى الحفيظـة كلمـــا
لقيتـك يومـا ان ابثـك مـا بيـــا

الـم تعلـمى يـا عذبـة المـاء اننى
اظـل إذا لـم اسـق مـاءك صـاديا

وقد بلغ به أمر حبها أن قال (٥) :

---

(٣) ديوانه ص ٢٢٢ ٠
(٤) نفسه ٢٠٣ ٠

أصلى فابكى فى الصلاة لذكرها
لى الويل مما يكتب الملكان

ويرى جميل - مثلما يرى العذريون عموما - أن الحب قدر لا مفر منه فهو يولد مع الإنسان فيقول جميل(٥) :

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل
إلى اليوم ينمى حبها ويزيد

٢ - قيس بن ذريح :

هو قيس بن ذريح : من كنانة ، اشتهر بحبه ( لبنى بنت الحباب الكعبية ) وكانت امرأة مديدة القامة ، شهلاء ، حلوة المنظر والكلام فلما رآها عشقها ، وشكا إليها غرامه ، فشكت إليه مثله ، فطلب إلى أبيه أن يخطبها فأبى لانه كان غنيا فأراد له إحدى بنات عمه .. إلى أن توسط ( الحسين بن على ) فزوجوه ..

وعاش الزوجان مدة فى سعادة حتى دخلت أم قيس بينهما ، وسعت إلى تطليقها ، فتفرقا ، وبكى ( قيس ) لهذا الفراق الذى خلف اسى ولوعة وقضى بقية حياته هائما على وجهه ، يهذى باسمها .

يقول قيس حين رأى هودج لبنى وعلم انها مسافرة بعد ليلة :

وإنى لمفن دمع عينى بالبكا
حذار الذى قد كان أو هو كائن

وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة
فراق حبيب لم يبن وهو بائن

(٥) نفسه ٦٥ .

وما كنت اخشى ان تكون منيتى
بكفيك إلا أن ما حان حائن

ولما غاب هودجها اكب على اثر خف بعيرها يقبله ، ويرجع يقبل موقع مجلسها واثر قدميها فلاموه على ذلك فقال :

وما احببت ارضكم ولكن
اقبل إثر من وطىء الترابا

لقد لاقيت من كلفى بلبنى
بلاء ما اسيغ به الشرابا

إذا نادى المنادى باسم لبنى
عييت فما اطيق له جوابا

وتحولت حياته بؤسا وشقاء دائمين ، وصار كالمريض لا يعرف للماء طعما ولا للشراب مذاقا ، واخذ يهوى النوم متمنيا رؤية حبيبته فى المنام :

وإنى لأهوى النوم فى غير حينه
لعل لقاء فى المنام يكون

تحدثنى الأحلام انى اراكم
فيا ليت احلام المنام يقين

ويعلل شدة هيامه بها ، فيذكر ان روحه تعلقت بروحها قبل خلقهما فكيف يسلوها ؟

تعلق روحى روحها قبل خلقنا
ومن بعد ما كنا نطافا وفى المهد

فزاد كما زدنا فاصبح ناميا
وليس إذا متنا بمنصرم العهد

ولكنه باق على كل حادث
وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد

ويقال : إن نفرا من قريش كلموا زوج لبنى فى شان قيس ، فطلقها وعادت لبنى إلى قرة عينها حتى ماتت ، فاكب على قبرها يبكيها ، ولم يزل عليلا بها حتى دفن بجوارها .

٣ ـ كثير عزة :

هو كثير بن عبد الرحمن : من خزاعة ، اشتهر بحبه عزة بنت جميل بن وقاص من ضمرة ، كانت من أجمل النساء وأدبهن وأعقلهن. ومن شعره فيها قصيدته التى مطلعها :

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا
قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وقوله فيها لما أخرجت إلى مصر :

وقال خليلى مالها إذ لقيتها
غداة السنا فيها عليك وجوم
فقلت له إن المودة بيننا
على غير فحش والصفاء قديم
وإنى وإن أعرضت عنها تجلدا
على العهد فيما بيننا لمقيم
وإن زمانا فرق الدهر بيننا
وبينكم فى صرفه لمشوم

٤ ـ مجنون ليلى :

وأما مجنون ليلى ( قيس بن الملوح ) ، فقد شكك بعضهم فى

وجوده أصلا .. غير أنه عرف الحياة وعرفته ، إلا أنهم تزيدوا فى قصصه وأخباره،يقول الأصفهانى : « إن شابا من بنى أمية كان يحب ابنة عمة ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون ».

معنى ذلك أن المحبين من الشعراء كان بعضهم يخفى شخصيته وراء المجنون ، ورغم أن شعره قليل إلا أنه حظى من الشهرة ما لم ينله المكثرون من الشعراء .

***

**٣ - شعر الخصومات :**

ذكرنا فى لمحتنا عن الحياة السياسية والاجتماعية فى العصر الاموى أن العصبية قد عادت أقوى مما كانت عليه فى الجاهلية ، ثم « ما إن أخذت الفتنة الكبرى مكانها المقيت فى دنيا الحياة الاسلامية إثر مقتل ذى النورين الخليفة ( عثمان بن عفان ) حتى أخذ دبيب الخلاف سيره فى صفوف المسلمين يصدع الشمل،ويفتت الصف ، وكانت فرصة كريهة ظهرت فى اثرها الانقسامات لم تلبث أن اتخذت شكل الأحزاب فى خلافة على ونزاعه مع معاوية »(٦) .

ووجدنا أنفسنا بإزاء أربعة أحزاب متنافرة هى : الحزب الأموى، الشيعة ، الخوارج ، الزبيريون .

ووجد الشعر فرصته للازدهار فى هذا الجو ، إذ كان لكل حزب أنصاره ومؤيدوه ، هذا بالإضافة إلى الصراع القبلى والفردى بين الشعراء ..

---

(٦) الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية ص ٧٣ .

نتج عن ذلك كله أنواع من الخصومات يمكن أن نلمها فيما يلى :

**( أ ) الخصومات الحزبية :**

فقد نشبت المعارك بين الشعراء حسب اتجاهاتهم الحزبية ، وكان الشعر الوسيلة الإعلامية لكل حزب .

**١ ـ شعر الحزب الأموى وشعراؤه :**

شعراء هذا الحزب كثير ، وهذا أمر طبيعى لأن الجاه والسلطان بأيديهم ، وقد سلكوا مسلك الترغيب والترهيب ، وجاء الشعراء من كل صوب وحدب يتنافسون فى سبيل الحصول على أعظم الهبات وأجزل العطايا .

ولم يكن شعراء هذا الحزب يسكنون عاصمة الخلافة ، بل كانوا متفرقين فى الأمصار غير شاعر واحد وصف بانه ( شاعر أهل الشام ) وهو ( عدى بن الرقاع العاملى ) الذى انقطع للوليد بن عبد الملك .

ومن شعراء الأمويين الثالوث الخطير : ( جرير والفرزدق والأخطل ) ومن شعرائهم أيضا : ( مسكين الدارمى ) الذى رأى فيه معاوية معينا له على سياسته ، وكان قد أوعز إليه بفكره ولاية العهد لابنه ( يزيد ) فقال شعرا فى ذلك .. وقويت العلاقة بين مسكين وزياد ابن أبيه فأحسن إليه وأكرمه .

ومنهم : ( أبو العباس الأعمى ) الذى يقول عنه الأصفهانى(٧) : ( وكان من شعراء بنى أمية المعدودين ، المقدمين فى مدحهم ، والتشيع لهم ، وانصباب الهوى إليهم ) .

---

(٧) الأغانى ١٥/٥٩ .

ومن شعره فيهم قوله (٨) :

ليت شعرى افاح رائحة المسك
وما إن إخال بالخيف إنسى
حين غابت بنو امية عنه
والبهاليل من بنى عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا
ن عليها وقّانة غير خرس
لا يعانون صامتين وإن قا
لوا اصابوا ولم يقولوا بلبس
يحلمون إذا الحلوم تقضت
ووجوه مثل الدنانير ملس

والعجيب أن الشاعر قال هذا الشعر وهو بالحجاز فى قبضة عبد الله بن الزبير ، وقد أراد أن يبطش به لولا أن ناسا كلموا ابن الزبير فاطلقه ، غير أن الشاعر لم يرجع عن هجوه لآل الزبير .

ومن شعرائهم : ( نابغة بنى شيبان ) ، الذ ى استن سنة ( مسكين الدارمى ) ، وذلك حين أراد ( عبد الملك ) أن يخلع اخاه ويأخذ البيعة لابنه ( الوليد )فانتهز ( النابغة الشيبانى )فرصة مدح عبد الملك - حين قضى على الزبيريين وضمن شعره اقتراحا يجعل ولده الوليد وارثا لملكه قائلا(٩) :

---

(٨) تاريخ الشعر العربى للكفراوى ٩١/١ نقلا عن نكت الهيمان ١٥٤ .
(٩) الأغانى ١٠٧/٧ .

ازحت عنـا آل الزبـــير ولـــــو
كانـــوا هـم المالكـين مـا صـلحوا

آل ابى العـــاص آل مائـــــــرة
غـر عنـاق بالخـــير قـد نفحـــوا

خـــير قـريش وهـم افاضـــــلها
فى الجـد جـد وإن هـم مزحـــوا

ارحبهـا اذرعـا ، واصـــــبرها
انتـم إذا القـــوم الـوغى كلحـــوا(١٠)

امـا قـــريش فانـــت وارثهـــا
تكـف مـن صـــعبهم إذا طمحـــوا

حفظت ما ضـــيعوا وزندهـــم
اوريت إذ أصـــلدوا وقـد قدحـــوا

اليـت جهـداً ـ وصـادق قسـمى ـ
بـرب عبـد تجنـــه الكـــــرح(١١)

يظـل يتلـــو الانجيـــل يدرســـه
من خشـــــية الله قلبـــه طفـــح

لابنـــك اولى بمـــلك والـــــده
ونجـم مـن قـد عصـــاك مطـــرح

وكذلك فعل الشاعر الكبير ( جرير ) مع ( سليمان بن عبد الملك ) حين اراد اخذ البيعة لابنه ( أيوب ) فيقول(١٢) :

---

(١٠) كلحوا : تكشروا فى عبوس .
(١١) الكرح : بيوت صغار بأرض الكوفة تسكنها الرهبان .
(١٢) ديوان جرير ص ٣٤ .

إن الإمـام الـذى تـرجى نوافلـه
بعـد الإمـام ولى العهـد (أيوب)

الله أعطاكـم مـن علمـه بكـم
حكمـا ومـا بعـد حكـم الله تعقيب

انت الخليفـة للرحمـن يعرفـه
اهـل الزبور وفى التـوراة مكتـوب

والشعراء فى خدمة الحزب الأموى يسبغون على الخلفاء مؤهلات الخلافة ، وانها حق سماوى لهم ، وهم سيوف الله المسلولة لحماية الدين ونصرته وانهم ينهجون فى حكمهم نهـج النّبى ﷺ ونهج سـابقيه من الرسل ، ولذا فهم مؤيدون بنصر الله(١٣) .

يقول الفرزدق فى عبد الملك بن مروان(١٤) :

فالأرض للـه ولاهـا خليفتـه
وصـاحب اللـه فيها غـير مغلـوب

بعد الفسـاد الـذى قـد كان قـام به
كـذاب مكـة مـن مكـر وتخـريب

رامـوا الخلافـة فى غـدر فاخطأهم
منهـا صـدور وفـازوا بالعراقيـب

والناس فى فتنـة عميـاء قـد تركت
اشـرافهم بـين مقتـول ومحـروب

دعوا ليسـتخلف الرحمـن خيرهـم
واللـه يسـمع دعـوى كل مكـروب

---

(١٣) راجع : أدب السياسة ـ الحوفى ١٤٦ .
(١٤) ديوانه ٢٥/١ .

تراث عثمـان كانـوا الأوليـاء بـــه
سـربال ملك عليهـم غـير مسـلوب

وهم ـ فى سبيل إرضاء الخلفاء ونيل الحظوة عندهم ـ يحملون على خصومهم حملة شعواء ، فيكفرونهم ويرمونهم بالظلم والطغيـان والفسق ... إلخ .

فهذا ( كعب بن جعيل التغلبى ) يصور موقف أهل الشام والعراق قـائلا (١٥) :

ارى الشـام تكـره مـلك العـــراق
واهـل العـراق لهـم كارهينـــا

وكلا لصـــاحبه مبغضـــــا
يـرى كل مـا كان مـن ذاك دينـا

إذا مـا رمونـــا رميناهـــم
ودناهـــم مثـل مـا يقرضـــونا

وقالـــوا : ( على ) إمـام لنـــا
فقلنـا : رضينا ( ابن هند ) رضـينا

وقالـــوا : نـرى أن تدينـــوا لـــه
فقلنـــا لهـم : لا نـرى أن ندينـــا

ومن دون ذلك خـــرط القتـــاد
وضـــرب وطعـن يقـر العيونـــا

وكل يســـر بمـا عنـــــده
يـرى غث مـا فى يديـــه ثمينـــا

---

(١٥) تهذيب الكامل ١/٤٠ .

ومـــا فى ( عـلى ) لمســـــتعتب
مقـال ســـوى ضـــمه المحدثينـــا
وإيشـاره اليـوم أهـل الذنـــــوب
ورفـع القصـــاص عـن القاتلينـــا
إذا ســـيل عنـه زوى وجهـــــــه
وغـمى الجـــواب عـن السـائلينـا
فليـــس بـراض ولا ســـــــاخط
ولا فى النهـاة ولا الآمرينـــــــا
ولا هـوســـــاء ولا ســـــــره
ولابـــد مـن بعـض ذا أن يكونـــا

وطلب ( يزيد بن معاوية ) إلى ( الأخطل ) أن يهجو الأنصـار فقـال(١٦) :

لعـن الإلـه من اليهـود عصـــابة
بالجـــزع بـين صليصـل وصـــرار
قوم إذا هـدر العصـــير رايتهـــم
حمـرا عيونهـم مـن المســـــطار
خلـوا المـكارم لستم مـن أهلهـــا
وخـــذوا مســـاحيكم بنى النجـار
إن الفـوارس يعلمـــون ظهـــوركم
أولاد كـل مقبـــــح أكـــــــار

(١٦) طبقات الشعراء ٣٩٧ ، صليصل وصرار : موضعان قرب المدينـة والمسكار : الخمر الصارعة لشاربها . المساحى : جمع مسحاة وهى الفأس ونحوها . أكار : حراث .

ذهبت قريش بالمكارم كلها
واللؤم تحت عمائم الأنصار

ويحكم ( عدى بن الرقاع ) على ( مصعب بن الزبير ) بالنفاق فيقول(١٧) :

لعمرى لقد أصحرت خيلنا
باكناف دجلة للمصعب
يهزون كل طويل القنا
معتدل النصل والشعلب
إذا ما منافق أهل العرا
ق عوتب ثمت لم يعتب
دلفنا إليه بذى تدرأ
قليل التفقد للغيب

ويمكن أن نوجز أهم ملامح الشعر فى رحاب الحزب الأموى فيما يلى :

- من حيث موضوعات الشعر : فقد غلب الجانب السياسى على ما عداه وفى خلال ذلك أخذ الشعراء يسحبون على الحكام هالة من الدين ، فوصفوهم بالهدى والصلاح والعفاف ، وأن الله أيدهم بنصر من عنده ، وفى المقابل يصفون خصمهم بالكفر والفسق والظلم والعصيان ... إلخ .

---

(١٧) ديوانه ، ط دار الكتب العلمية ص ٥٩ ، ٦٠ . أصحرت : برزت فى الصحراء ، أكناف دجلة : نواحيه . دلفنا : تقدمنا . ذو تدرأ : أى ذو قوة ومنعة .

- غلبت النفعية على شعرائهم ، فكان معظمهم طلاب مال ، متطلعين إلى الشهرة ، وقلما تجد شاعرًا يمكن أن يوصف بالوفاء الخالص لبنى أمية ، ومن هؤلاء ( أبو العباس الأعمى ) و ( أبو صخر الهذلى ) .

- اتسم شعرهم بالمبالغة فى المدح ، فجاءت مدائحهم - أو معظمها - خارجة على المألوف فى الصدق ، ولعل السبب فى ذلك الرغبة فى الحظوة لدى الممدوحين ، وتنافس كثير من الشعراء فى ذلك(١٨) .

**ب - شعر الشيعة وشعراؤها :**

وهؤلاء الشعراء يعتقدون أن حبهم لعلى وبنيه جزء من حبهم للرسول ﷺ .

وقد رأينا أن كثيرا من الشعراء سار فى ركاب خلفاء بنى أمية طمعا فى خزائنهم ، ورغبة فيما عندهم . وكان حظ آل البيت من المال والسلطان أقل كثيرا مما عند بنى أمية من المال والسلطان ، ومن هنا فإن الشاعر الذى يتشيع لآل البيت سوف يعرض نفسه لغضب بنى أمية من جهة ، وسيحرم من عطايا كان يمكن أن يحظى بها لو كان إلى جانب الأمويين .

ولذا لا تكاد تجد شاعرا ظل على تشيعه ، أو أظهر مذهبه وجاهر به دون أن يعبأ بالعواقب ، اللهم إلا ما كان من ( الكميت بن زيد ) الذى وصف بأنه ( شاعر أهل البيت ) وله فيهم قصائد كثيرة سميت

---

(١٨) راجع : أدب السياسة فى العصر الأموى ١٧٣ - ١٨٥ .

بالهاشميات ، ومنها بائيته التى يقول فيها :

طربت وما شوقا إلى البيض أطـرب
ولا لعبـا مـنى وذو الشـيب يلعـب

ولـم تلهـنى دار ولا رسـم منـزل
ولـم يتطربـنى بنـان مخضـب

ولكن إلى أهـل الفضـائل والنهـى
وخـير بنى حـواء والخـير يطلـب

بنى هاشـم رهـط النـبى فإننـى
بهـم ولهـم أرضى مـرارا واغضـب

وهناك من الشعراء من كان شيعيا ثم تحول إلى الامويين - ربما فى الظاهر فقط - مثلما فعل ( كثير عزة ) الذى كان شيعيا يؤمن بفكرة التناسخ وأن قبس النبوة لا يزال ينتقل فىّ على وأبنائه ، وفكـرة أن ابن الحنفية هو المهدى المنتظر وفيه يقول :

هـو المهـدى خبرنـاه كعـب
اخـو الأحبـار فى الحقـب الأوالى

وكان يمتلىء حقدا على ابن الزبير ، ثم لحق بعبد الملك وأصبح من مداحه ، وأخذ يثيره على ابن الزبير ، وظل يمدح عبد الملك ، ثم ارتحل إلى مصر يمدح أخاه عبد العزيز واليها ، وظن بعض المحدثين أن هذا المدح ضرب من النفاق ، لكنه لم يكن كذلك ، بل كان الشاعر تابعا لإمامه ابن الحنفية الذى أعلن ولاءه لعبد الملك ، أو أن ذلك كان من التقية .

وظل ( كثير ) على تشيعه معتقدا أن الحق فى الخلافة لعلى

وبنيه فقط ، يقول فى ابن الحنفية حين توفى(١٩) :

الا إن الائمـــــــة مـــن قريـــش
ولاة الحـــق اربعـــــة ســـواء
عـلى والثلاثـــة مـــن بنيـــــه
هـم الأسباط ليس بهـم خفـــــاء
فســـــبط ســـبط إيمـــان وبـــر
وســـبط غيبتـــــه كربـــــلاء
وســـبط لا تراه العـــين حـــتى
يقـود الخيـل يقدمهـــا اللـــواء
تغيـب لا يـرى فيهـــم زمانـــــا
برضـوى عنـده عســل ومـــــاء

ويعتقد أن سـواهم مغتصـبون للخلافـة ، فقـال حـين حضرته الوفـاة(٢٠) :

برئت إلى الإلـه مـن ( ابن أروى )
ومـن ديـن الخـوارج اجمعينـــا
ومن ( عمر ) برئت ومن ( عتيق )
غـداة دعى أمـــير المؤمنينـــــا

وقد ظهر فى شعرهم الحزن على ائمتهم الذين سفك الأمويـون دماءهم واخذوا يبكونهم ويندبونهم .. يقـول سـليمان بن قتـة يرثى الحسين :

---

(١٩) ديوان كثير ١/١٨٥ .
(٢٠) ابن أروى : عثمان بن عفان . العتيق : أبو بكر الصديق .
راجع : العصر الإسلامى / شوقى ضيف ٣٢٢ .

مـــررت عـلى ابيـــات آل محمـد
فلـم ارهـا كعهدهـا يـوم حلـــت

وكانـوا رجـاء ثم صـــاروا رزيـــة
وقـد عظمت تـلك الرزايـا وجلـت

الـم تر أن الشـمس أضـحت مريضة
لفقـد حســين والبـلاد اقشـعرت

وقـد اعولت تبكى السـماء لفقـــده
وانجمهـــا فاحـت عليـــه وصـلت

وحمل شعراء الشيعة على خصومهم واتهموهم بالفسق والفجور . يقول ( الاعور الشنى ) ناعيا فعـل طلحة والزبير حين نقضا بيعتهمـا لعـلى(٢١) :

قـل لهـذا الإمـام قـد خبت الحـر
ب وتمـــت بـذلك النعمـــــــاء

وفرغنـا من حـرب مـن نكث العهـ
ـد وبالشـــام حيـــة صـــــماء(٢٢)

تنفث السـم ، ما لمـن نهشتـــــــ
ـه ـ فارمها قبل أن تعض ـ شـــفاء

ويمكن أن نوجز أهم ملامح شعرهم فى الآتى :

ـ معظم شعرهم فى آل البيت دار حول أحقيتهم بالخلافة . وقد تحسروا على قتلاهم وبكوهم بكاء مرا ، وقد حملوا على القتلة من بنى امية ، وحرضـوا على الثار منهم .

(٢١) الأخبار الطوال للدينورى ١٥٣ ، وأدب السياسة ١٩٧ .
(٢٢) من نكث العهد : طلحة والزبير . حية الشام : معاوية .

- ويمتاز شعرهم بحرارة العاطفة وصدق الانفعال ، وذلك لأن ولاءهم لآل البيت لم تشبه شائبة طمع فى مال أو سلطان ٠

***

جـ - شعر الخوارج وشعراؤها :

ذكرنا - فيما مضى - أن الخوارج كانوا فى شدة وعنف وثورة ، وكانوا يطلبون الاستشهاد فى سبيل عقيدتهم ، ويستصغرون الحياة ٠٠ وكانوا يستحلون دماء إخوانهم المسلمين وتلك سمة اتسم بها شعرهم بين سائر الشعر الأموى ٠

فهذا أحد شعرائهم - حين قدمه الحجاج إلى القتل - يقول :

**ما رغبة النفس فى الحياة وإن**
**عاشت قليلا فالموت لاحقها**
**وأيقنت أنها تعود كما**
**كان براها بالأمس خالقها**
**يوشك من فر من منيته**
**فى بعض غراته يوافقها**
**من لم يمت عبطة يمت هرما**
**والموت كأس والمرء ذائقها**

ويصفهم ( الطرماح بن الكيم ) بأنهم قوام ليل ، صوام نهار ، كثيرو الأنين والبكاء خوفا من النار ، وهم يسترخصون الموت ، حراص على مذهبهم(٢٣) ٠

---

(٢٣) ديوان الطرماح ١٥٧ ٠

للـــه در الشـــراة إنهـــم
إذا الكـرى مـال بالطـلا ارقـوا
يرجعـون الحنـين آونـة
وإن عـلا ساعة بهـم شـهقوا
خوفـا تبيت القـلوب واجفـة
تـكاد عنهـا الصـدور تنفلـق
كيف ارجى الحيـاة بعدهـم
وقـد قـضى مـؤنسى فانطلقـوا
قـوم شـحاح عـلى اعتقادهـم
بالفـوز ممـا يخـاف قـد وثقـوا

ويقول عمران بن حطان راثيا ابا بلال بن مرداس لما قتل(٢٤):

لقـد زاد الحيـاة إلى بغضـا
وحبـا للخـروج ابـو بـلال
احـاذر ان امـوت عـلى فراشـى
وارجـو المـوت تحـت ذرا العـوالى
ولـو انى علمـت بـان حتـفى
كحتـف ابى بـلال لـم ابـال
فمـن يك همـه الدنيـا فإنـى
لهـا ـ والله رب البيـت ـ قـالى

وقد كفروا مخالفيهم ورموهم بالإلحاد .. يقول قطرى بن الفجاءة:

فلـو شـهدتنا يـوم ذاك وخيلنـا
تميـح مـن الكفـار كـل حـريم

---

(٢٤) الكامل للمبرد ١٦٨/٣ .

رأت فتيـة بـاعـوا الإلـه نفـوسهم

بجنـات عـدن عنـده ونعـيم

وأشهر شعرائهم : عمران بن حطان ، والطرماح بن حكيم الطائى ، غير أنه كان مسالمـا غير متطرف ، فلم يكفر المسلمين .

قال الجاحظ(٢٥) :

« لم ير النـاس أعجب حالا من الكميت والطرماح ، كان الكميت عدنانيا عصبيا ، وكان الطرماح خارجيا من الصفرية ، وكان الكميت يتعصب لأهـل الكوفة ، وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام ، وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكونا بين نفسين قط ، ثم لم يجـر بينهما صـرم ولا جفـوة ولا إعراض ولا شيء مما تدعو هذه الخصـال إليـه » .

وأهم ما يتميز به شعـرهم :

— تصـوير البطولات من خلال شعرهم ، وبيـان مدى شجـاعتهم واستهانتهم بالمـوت .

— جـزالة أسلوبهم وقوته حتى يتناسب مع البـأس والشدة ، ولعل قوة أسلوبهم راجعة إلى بدويتهم التى لم تفسدها الحضارة، وكذلك لعدم اقتصـارهم فى الدعـوة إلى مذهبهم على القول باللسـان وإنما بمصاحبة السيف .

— ومن هنا جاء شعرهم صادقا ، حار العاطفة .

وقد خلا شعرهم من العصبية لجنس أو لون أو قبيـلة ، وذلك لأن هدفهم إسـلامى خـالص .

---

(٢٥) البيان والتبيين ١/٤٦ ، ٣/٣٢٣ .

ـــ يتميز شعرهم بوحدة الموضـوع ٠

ـــ اقتباسهم من القـرآن الكريم كما فى قول أحدهم :

هـم الفئـــة القليـــلة غـير شـــك
على الفئـــة الكثيـــرة ينصـــرونا

فهو من قوله تعالى : « كم من فئـة قليـلة غلبت فئـة كثيـرة بإذن الله والله مع الصـابرين » ٠

( د ) شعـر الزبيريين وشعـراؤهم :

من أهم وأشعر شعـرائهم : ( عبد الله بن قيس الرقيات ) الذى يمدح عبد الله بن الزبير قائلا :

وابن أسمـــاء خـير مـن مسـح الـر
كـن فعـــالا وخـــيرهم بتيـــانـا

وإذا قيـــل مـن هجـــان قـــريش
كنـت انـت الفـتى وانـت الهجـــانا

وقال يمدح مصعبا أخاه(٢٦) :

حبـــذا العيش حـين قـومى جميـع
لـم تفـــرق أمـــورها الأهـــواء

قبـــل ان تطمـــع القبـــائل فى ملـ
ـــك قـــريش وتشمـــت الأعـــداء

ايهـــا المشتهـى فنـــاء قـــريش
بيـــد الله عمـــــرها والفنـــاء

(٢٦) ديوان ابن الرقيات : ١٧٦ ٠

إنمـــا مصعـب شهـــاب مـن الله
تجلـت عـن وجهـــه الظلمـــاء
ملـكه مـــلك قـــوة ليس فيـــه
جبـــروت ولا بـــه كبـــرياء

ودعا إلى الثورة العارمة على الامويين قائلا :

كيف نـومى عـلى الفـــراش ولمـا
تشمـــل الشـــام غـــارة شعـــواء
تذهـل الشيـخ عـن بنيـه وتبـدى
عـن بـراهـــا العقيـــلة العـــذراء (٢٧)
انـا عنـــكم بنى أميـــة مـــــزو
ر وانتـم فى نفســى الاعـــــداء

ومن اشهر شعرائهم ايضـا : ( ابو وجزة السعدى ) الذى مدح آل الزبير وكان بعضهم قد أمر له بعطاء كبير (٢٨) :

راحت قـلوصى رواحـا وهى حـامدة
آل الزبيـــر ولم تعـــدل بهم احـدا
راحت بستـــين وسقـــا فى حقيبتها
ما حملت حملهـا الادنى ولا السـددا
ذاك القـــرى لا كاقـوام عهـــدتهم
يقـــرون ضيفهـم المـــلوية الجـددا

وصحيح أن الناقة لا تحمل ستين وسقا ولكنه انصـرف عنهم ومعه كتاب منهم كـ ( إذن صـرف ) بستين وسقا وهى حاملته .

---

(٢٧) البرى : حلقات السوار والقرط .
(٢٨) الاغانى ٢٤٣/١٢ . الوسق : حمل بعير ، السدد : الوفق .

والشـاعر إذ يمدح الزبيريين يعرض بإبراهيم بن هشام المخزومى الذى طرد شاعرا من داره وضربه بالسياط ٠

والشعراء الزبيريون قد داروا فى شعرهم حول الإشـادة بآل الزبير ـ كما أسلفنا ـ والاحتجاج لهم وبيان أحقيتهم فى الخلافة ٠

وهم فى سبيل ذلك يحملون على خصومهم من الامويين والخوارج والكيسـانية ٠

وقد رأينـا كيف أن ( ابن الرقيات ) يدعو للثورة على بنى أمية ، اما حملتهم على الكيسانية فمنه قول ( مراقة البارقى ) مكذبا المختار الثقفى زعيمهم ومبينـا سفاهاته وكذب ادعاءاته من أنه يوحى إليه(٢٩):

الا ابلـــغ أبـا إسحـــــاق أنى
رأيـت البلـق دهمـــا مصمتـات(٣٠)

أرى عينـى مـا لـم تبصـــــراه
كـلانا عـــــالم بالتـرهـــــات(٣١)

إذا قـالوا ، اقـــول لهـم : كـذبتم
وإن خـرجـــوا لبسـت لهـم أداتـى

كفـــرت بوحيـكم وجعلـت نـــذرا
عـلى قتـــالكم حـــتى الممـــات

---

(٢٩) طبقات الشعراء ٣٧٦ ، الكامل للمبرد ١٦٩/٢ ٠

(٣٠) أبو اسحاق : كنية المختار الثقفى ٠ البلـق : جمـع أبلق وهو الفرس فيه سواد وبياض وتحجيل إلى الفخذين ٠ دهم : جمع أدهم وهو الفرس شديد السواد ٠ أدهم مصمت : أسود خالص ٠ رأيت : علمت ٠

(٣١) الترهات : الأباطيل ٠

**( ب ) النقـائض والخصومات القبليـة :**

**النقـائض** : جمع نقيضة مأخوذة فى الأصـل من : نقض البنـاء إذا هدمه ، والحبل إذا حله . والنقيضـة فى الشعر : ما ينقض به ، وذلك بأن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول .

هذا معنى النقيضـة فى اللغـة (٣٢) .

وفى اصطلاح أهل الأدب والنقد معناها :

« أن يتجـه الشـاعر إلى آخـر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا ، فيعمد الآخـر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ، ملتزما البحـر والقافية والروى الذى اختـاره الأول .. » .

١ – ولابد من وحدة الموضـوع فخرا أو هجاء أو سياسـة أو رثاء أو نسيبا أو جمـلة من هذه الفنون المعـروفة ، إذ كان الموضوع هو مجال المناقشة ومادة النقائض .

٢ – ولابد من وحدة البحـر ، فهو الشكل الموسيقى الذى يجمع بين النقيضتين ويجذب إليه الشاعر بعد أن يختاره الأول .

٣ – ولابد من وحدة الروى ، فذلك هو النهـاية الموسيقية المتكـررة التى تعد جزءا من النظام الموسيقى العام للمناقضة .

٤ – ولابد من وحـدة حـركة الروى ، إتمـاما للتنسيق الوزنى وإن اختلفت فى بعض النقائض .

وجانب المعنى هو مناط النقائض ومحورها الذى تدور عليه (٣٣)

---

(٣٢) لسان العرب – نقض ، القاموس ، الصحاح : نقض .

(٣٣) تاريخ النقائض فى الشعر العربى : د. أحمد الشايب ص ٣ ، ( بتصـرف قليـل ) .

وتسمى القصيدة الأولى نقيضة بمعنى منقوضة ، والثانية نقيضة بمعنى ناقضة .

تلك هى أسس النقائض ، فحيثما وجدت تحققت المناقضة .

لكن الدكتور « شوقى ضيف »(٣٤) ذهب إلى أن ما سبق العصر الاموى من هذا القبيل لا يطلق عليه اسم ( النقائض ) وأسباب ذلك عنده :

« أن الشعراء فيما قبل العصر الاموى لا يتقيدون دائما بأن يردوا على خصومهم بقصائد من نفس الوزن والقافية .. كما أنهم لا يقبلون على ذلك إقبال المحترف الذى يهب حياته لمهنة يمارسها ، كما أن هذا النوع من الشعر لم يستمر ، كما استمر فى العصر الاموى بصورة منظمة .. كما أن الشاعر الجاهلى لم يكن يهجو ليضحك جمهورا كما نجد فى عصر بنى أمية .. ثم يقول الدكتور شوقى ضيف :

« وليس عندنا قبل هؤلاء الشعراء الثلاثة دواوين للهجاء بهذا المعنى الذى نجد معندهم .. » « من أجل ذلك كنا نزعم أن الهجاء تحول عند الشعراء الثلاثة إلى فن جديد أو لون جديد ، ولا بأس أن نسمى هذا اللون باسم النقائض .. أما الهجاء الذى سبقهم فلا نسميه نقائض إلا على ضرب من التجوز ، أو على أنه بذور لهذا اللون الجديد الذى نقرؤه عند الاخطل والفرزدق وجرير » .

ونحن نختلف مع الدكتور ( شوقى ضيف ) فى ذلك ..

لاننا لو استقرانا الشعر الجاهلى - فضلا عن الإسلامى - لوجدنا

---

(٣٤) التطور والتجديد فى الشعر الاموى : ص ١٦٢ - ١٦٦ .

أسس المناقضة وعناصرها متحققة فيه ، فلماذا نضن بإطلاق النقائض عليها ؟

غاية الأمر أن الفرق بين نقائض ( الثلاثى الأموى ) الفرزدق وجرير والأخطل - ومن سبقهم : أن هجاء الثلاثى كان من بين أهدافه إضحاك الجمهور وتسليتهم ، إذ أن هذا اللون قد صار عندهم حرفة صاروا فيها مهرة حذاقا .

وهذه سنة التطور ، فقد وصل هذا الفن إليهم بعد أن مر بعدة مراحل واصل فيها التطور حتى صار إلى قمته عندهم فاشتهروا به وصار بهم لصيقا ، فلا تذكر كلمة نقائض إلا ويذكر هذا الثلاثى ..

إذاً : النقائض فن شعرى تمتد جذوره إلى الجاهلية (٣٥) ..

**النقائض القبلية :**

تحدثنا فيما مضى عن العصبية القبلية التى عادت جذعة بين القبائل ، وقد ساعد بنو أمية على إذكاء نيران العصبية حتى يشغلوا الناس ويحتفظوا بسلطانهم .

وبذلك اختلطت العصبية القبلية بالسياسة الحزبية . « وكانت بعض القبائل التى سكنت نجداً وبوادى الحجاز قد نزحت إلى الشمال ومنها : سليم وعامر وكلاب فزاحمت قبيلة كلب وأخواتها اليمنية فى الشام وقبيلة تغلب فى الجزيرة . فكان ما كان من خصام قبلى واسع ، اصطدمت فيه المصالح الاقتصادية فى الرعى وغيره ، كما اصطدمت المصالح السياسية .

---

(٣٥) راجع : نماذج النقائض فى العصر الجاهلى فى رسالتى للدكتوراه: شعر قبيلة بنى سليم من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموى ص ٣٩٣ وما بعدها .

فكانت كلب واخواتها وتغلب مع بنى امية ، فى حين كانت قيس - ومعها سليم - فى صفوف اعداء بنى أمية »(٣٦) .

لقد عادت الحروب بين القبائل وعاشوا جاهلية اخرى وكانت لهم ( ايام ) كثيرة منها على سبيل المثال :

**( يوم مرج راهط ) :**

وفيه كانت الحرب بين قيس - ومنها بنو سليم - وتغلب ومن آزرها .

وذلك انه لما مات يزيد بن معاوية ) بويع الخلافة لـ ( ابن الزبير ) ، وعزم ( مروان ) على أن يذهب إليه فيبايعه بالخلافة ، غير أن ( ابن زياد ) قدم من العراق ، وبلغه ما عزم عليه مروان فقال له :

قد استحييت لك من ذلك ، انت كبير قريش وسيدها تمضى إلى ( ابى خبيب ) فتبايعه ؟ - يعنى ابن الزبير وهذه كنيته - فقال : ما فات شيء بعد .

فقام معه بنو امية ومواليهم وتجمع إليه اهل اليمن ، فسار إلى دمشق وهو يقول : ما فات شيء بعد .

فقدم دمشق و ( الضحاك بن قيس ) قد بايعه اهلها على أن يصلى بهم ويقيم لهم امرهم حتى يجتمع الناس ، وهو يدعو سرا إلى ( ابن الزبير ) .

---

(٣٦) العصر الإسلامى : د. شوقى ضيف ص ١٥٠ وما بعدها (بتصرف)

وكان ( زفـر بن الحارث الكلابى ) بقنسرين يبايـع لابن الزبير و ( النعمان بن بشير ) بحمص يبايع له أيضا .

ثم ثار الخـلاف بين أتبـاع مـروان وأتبـاع ابن الـزبير ومنهم ( الضحاك ) الذى جهر بدعوته لابن الزبير .

ولـما بايع النـاس ( مـروان ) سـار إلى ( مـرج رهط ) وبه ( الضحاك بن قيس ) ومعه ألف فارس ، وجاء مدد من حمص وقنسرين وفلسطين .. واجتمع لمروان كلب وغسان والسكاسك والسكون .

واشتعلت الحرب بين الفـريقين بمرج رهط ، واستمرت عشـرين ليـلة اقتتلوا فيهـا قتـالا شديدا ، وقتل الضحاك ومعه ثمانون رجـلا من أشراف أهـل الشام ، وقتلت قيس مقتلة عظيمة لم يقتـل مثلها فى موطن قط . وكان من القتلى ( ثور بن معن السلمى ) وذلك فى المحرم سنة ٦٥ هـ وقيـل بل آخـر سنة ٦٤ هـ .

ولـما بلغت الهزيمة ( زفر بن الحارث الكلابى ) بقنسرين ، هرب منهـا فلحق بقرقيـسيا ، واجتمعت عليـه قيس ، وصحبه فى هزيمته وهروبه شابان من سليم ، وجاءت خيـل مـروان تطلبهم ، فعـارض السلميان دونه فقتـلا ، ونجا ( زفـر ) واجتمعت إليه قيس فرأسـوه عليهم . يقول « زفر بن الحارث »(٣٧) :

**أريـنى سـلاحى لا أبـالك إننى**
**أرى الحـرب لا تـزداد إلا تمـاديا**

---

(٣٧) راجع : الكامل لابن الاثير ١٤٥/٤ ، ط دار صـادر ، أنسـاب الأشراف للبلاذرى ٥/ ١٣٦ - ١٤٢ ، ط مكتبى المثنى ، بغداد ، ومروج الذهب ٧٧/٢ .

أتانى عـن مـــروان بالغيـب أنـه
مقيـد دمى او قاطـع مـن لسـانيا

ففى العيس منجاة وفى الأرض مهرب
إذا نحـــن رفعنـــا لهـن المثـانيـا

فلا تحسبـونى إن تغيبت غـافـلا
ولا تفـــرحوا بى إن جئتـكم بلقـائيا

فقـد ينبت العشـب على دمن الثرى
وتبـقى حـزازات النفوس كمـا هيـا

اتذهـب كلب لـم تنلهـــا رماحنـــا
وتتـرك قتـلى راهـط هى كمـا هيـا

لعمـرى لقـد ابقت وقيعـــة راهـط
لمـروان صـــدعا بيننـا متنـائيـا

أبعـد عمـرو وابن معـن تتابعـــا
ومقتـل همـــام امـنى الامـانيـا

فـلم تـر مـنى نبـوة قبـل هـذه
فـرارى وتـركى صـاحبى ورائيـا

عشيـة أعـــدو بالقـــران فـلا ارى
من النـاس إلا مـن على ولاليـــا

أيذهـب يـوم واحـد إن اسـاته
بصـــالح أيـامى وحســن بـلائيـا

فـلا صـلح حتى تنحـط الخيل بالقنا
وتثـــار من نسـوان كلب نســائيا

الا ليت شعـرى هـل تصيبن غـارتى
تنـوخا وحـى طىء من شقـائيـا

فاجابه جواس بن القعطل ، ويقال : ابن المخلاة الكلبى(٣٨) :

لعمـرى لقـد ابقت وقيعـــة راهـط
على زفـر داء مـن الـداء باقيـــا
مقيمـــا ثـوى بـين الضـلوع محـله
وبين الحشـــا اعيـا الطبيب المـداويا
يبـكى على قتـــلى سليـم وعـــامر
وذبيـــان معـذورا ويبكى البـواكيا
دعـــا بســـلاح ثـم أحجـم إذ رأى
سيـوف جنـــاب والطـوال المذاكيـا
عليهـا كاسـد الغـاب فتيـان نجـدة
إذا شـرعوا نحو الطعـان العواليـا

وفى خراسان كان ( عبد الله خازم ) يدعو إلى ابن الزبير ، فسار إليهـا وقاتل ولاتها دعاة مـروان .

وساعدته ( تميم ) حتى غلب عليهـا ، غير انه جفـاهم بعد ذلك فانتقمـوا منـه بقتلهم لابنـه محمـد ، واشتعـل القتـال بينهما إلى ن أ قتـل ابن خـازم .

قال موسى بن عبد الله بن خـازم يرثى اخـاه محمـدا هـذا بعد قتـــله .

ذكـــرت اخى والخـلو ممـا اصـابنى
يغـــط ولا يدرى بمـا فى الجـــوانـح

---

(٣٨) انسـاب الاشـراف ١٤٢/٥ .

دعتـه المنـايا فاستجـاب دعـاءهـــا
وارغـــم انفى للعـــــدو المـكاشـــح

فـلو نـاله المقـدار فى يـوم غـــارة
صبرت ولـم اجـــزع لنـوح النـوائح

ولـكن اسبـــاب المنـــايا صـرعتـــه
كـريمـــا محيـــاه عـريض المنـازح

بكـف امـرىء كـز قصـير نجـــاده
خبيـث ثنـاه عـرضـــة للفضـــائح (٣٩)

لقد اغتيل اخوه اغتيالا وهذا ما جعـله يادى ويحـزن ، اما إذا كان قتله فى حرب فإنه لم يحزن لنواح النساء النادبات ..

ثم من الذى اغتـاله ؟ لقد اغتـاله رجل خبيث قبيح ، قصـير حمائل السيف مما يدل على قصـر قامته ، وهو رجـل سوء ، يفعـل المنكرات ويعرض نفسـه للفضائح .

وانقضى امـر المرج ، غير أن قيسـا لم تنس قتـلاها ، وظلت تتحين الفـرص لتثأر لنفسها وكان من رؤسائهم آنذاك الفارس المغوار ( عمير بن الحباب السلمى ) الذى قادهم فى عدة حروب منها :

( يـوم الغـــوير ) :

---

(٣٩) معجم الشعراء : ٢٨٧ ، البصائر والذخائر لأبى حيان ٤٩٧/١ .
غطيط النائم والمخنوق : شخيره . الجوانح : أوائل الضلوع تحت الترائب مما يلى الصدر ، وقيل : الضـلوع القصـار فى مقدم الصدر . المكاشح : المتولى عنك بوده ، وهو العدو المبغض الذى يضمر لك الحقد والعداوة . المقدار : الموت . كز : بخيـل أو قبيح قصير نجاده : قصـير حمائل السيف مما يدل على قصر قـامتـــه .

وفيه جمع ( عمير ) قيسا حتى وصلوا إلى قرب ديار كلب وكان رئيسهم آنذاك ( جميد بن بجدل ) فقتلوا من كلب مقتلة عظيمة ، واتبع ( عمير ) ( ابن بجدل ) .. وكان ( عمير ) يحث فرسه قائلا(٤٠) :

أقدم ( صدام ) إنه ابن بجدل
لا تدرك الخيل وانت تدال
إلا تمر مثل مر الأجدل

وتمكن ( ابن بجدل ) من الفرار .. فقال عمير(٤١) :

وافلتنا ركضا حميد بن بجدل
على سابح غوج اللبان مثابر
ونحن جلبنا الخيل قبا شوازبا
دقاق الهوادى داميات الدوابر
إذا انتقصت من شاوه الخيل خلفه
ترامى به فوق الرماح الشواجر
تسائل عن حبى رفيدة بعد ما
قضت وطرا من عبد ود وعامر

وكانت ( هند الجلاحية ) تحرض كلبا قائلة(٤٢) :

الا هل ثائر بدماء قوم
أصابهم عمير بن الحباب

---

(٤١) نفسه ٢٦/٢٤ . غوج اللبان : واسع جلدة الصدر .
(٤٠) الأغانى ٢٥/٢٤ ، تدال : تمشى مشيا بطيئا . الأجدل : الصقر.
(٤٢) الأغانى ٢٦/٢٤ ، ٢٧ .

وهـل فى عـامـر يـومـا نكيـر
وحيى عبـد ود أو جنـاب
فـإن لم يثـاروا من قـد أصـابوا
فـكانوا أعبـدا لبنى كـلاب
أبعـد بنى الجـلاح ومـن تركتم
بجـانب كـوكب تحـت التـراب
تطيـب لغـائر منـكم حيـاة
ألا لا عيـش للحـى المصـاب

فلما قتل ( عمير ) منهم مقتلة عظيمة قال يرد عليها (٤٣) :

ألا يا هنـد هنـد بنى الجـلاح
سقيـت الغيـث مـن قلـل السحـاب
ألـا تخبـرى عنـا بانـا
نـرد الكبـش أعضب فى تبـاب
ألا يا هنـد لـو عاينـت يـومـا
لقـومك لامتنعـت مـن الشـراب
غـداة ندوسهـم بالخيـل حتـى
أباد القتـل حى بنى جنـاب
ولـو عطفـت مـواسـاة حميـدا
لغـودر شـلوه جـزر الذئـاب

وكتاب الأغانى زاخر بالشعر الذى قيـل فى هذه الوقعة .

أما يوم البشـر (٤٤) :

(٤٣) الأغانى ٢٦/٢٤ ، ٢٧ .
(٤٤) راجع الكامل لابن الأثير ٣١٩/٤ وما بعدها ، أنساب الأشراف ٣٢٨/٥ وما بعدها ، الأغانى ١٩٨/١٢ وما بعدها ..

فسببه أن الأخطل التغلبى قدم على ( عبد الملك بن مروان ) وعنده ( الجحاف بن حكيم السلمى ) ووجوه قيس فقال الأخطل(٤٥) :

**الا سائل الجحاف هل هو ثائر**
**بقتلى اصيبت من سليم وعامر**

**اجحاف إن نهبط عليك فتلتقى**
**عليك بحور طاميات الزواخر**

**تكن مثل ابداء الحباب الذى جرى**
**به البحر تزهاه رياح الصراصر**

فوثب ( الجحاف ) يجر مطرفه وما يعلم من الغضب . فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلا قد كسبت قومك شرا .

فافتعل الجحاف كتابا من ( عبد الملك ) انه ولاه على صدقات بكر وتغلب ، فصحبه من قومه نحو الف فارس ، فشار بهم حتى بلغ الرصافة ، ثم كشف لهم أمره ، فشاروا ومشوا حتى صبحوا ( عاجنة الرحوب ) والبشر - وهو واد لتغلب - فاغاروا على تغلب ليلا فقتلوهم، وبقروا بطون نسائهم الحوامل وقتلوا غير الحوامل .

ثم قال الجحاف يزد على الأخطل(٤٦) :

**ابا مالك هل لمتنى إذ حضضتنى**
**على القتل أم هل لامنى لك لائمى ؟**

---

(٤٥) ديوان الأخطل : ٤٢٦ ، تحقيق إيليا سليم الحاوى .
(٤٦) انساب الأشراف ٣٣٠/٥ ، الكامل لابن الأثير ٣٢٢/٤ ، رغبة الأمل من كتاب الكامل للمرصفى ١٦/٥ ، ١٢ ، الشعر والشعراء ٤٨٥ ، المؤتلف والمختلف : ١٠٢ .

**ابا مـــالك إنى اطعنتـــك فى التى**
**حضضت عليهـا فعـل حران حـازم**
**فـإن تدعـنى اخـرى اجبـك بمثلهـا**
**وإنى لطـب بالـوغى جـد عـالـــم**

ويقـــول :

**الم اننـكم قتـــلا واجـدع انـوكم**
**بفتيـان قيس والسيـوف الصـــوارم**
**بـكل فـتى ينعى عمـــيرا بسيفـــه**
**إذا اعتصمت أيمـــانهم بالقـــوائم**
**فـإن يطـردونى يطردونى وقد جـرى**
**بى الـورد يومـا فى دمـاء الأراقـم**
**نكحت بسيفى من زهـير ومـــالك**
**نـكاح اغتصـــاب لا نـكاح الـدراهم**

إلـخ ما قـاله .

ثم إن الأخطل قدم على عبد الملك فانشده قوله :

**لقـد أوقـع الجحـاف بالبشـر وقعـة**
**إلى الله منهـا المشتـكى والمعـــول**

وهرب الجحاف إلى بلاد الروم .

رأى ( عبد الملك ) انه إن تركهم على حالهم لم يحكم الأمـر ، فأمـر ( الوليد بن عبد الملك ) فحمـل الدماء التى كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمن الجحاف قتلى البشـر ، والزمه اياها عقوبة له ، فاستطاع ان ياخذها من ( الحجاج ) وأمنه عبد الملك .

وكان عبد الملك قد استنشد الجحاف بعض ما قال فى هذه الغزوة فانشـده :

صـــبرت سليـم للطعـــان وعـامـــر
وإذا جـزعنـــا لم نجـــد من يصبـر

فقال له عبد الملك : كذبت ، ما أكثر من يصبر ، ثم أنشد :

نحن الذين إذا عـلوا لم يفخـــروا
يوم اللقـا وإذا عـلوا لـم يضجـروا

فقال عبد الملك : صدقت ، حدثنى أبى عن أبى سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة (٤٧) .

هذه نماذج للأيام التى حدثت بين قيس وتغلب ، ونلاحظ فيهـا أن العصبية القبلية قد اشتدت ضراوة عما كانت عليه فى العصر الجاهلى

ولم يكن الخزاع القبلى مقصورا على هاتين القبيلتين ، بل كان هناك صراع بين تغلب وتميم ، وبين تميم وبكر ..

وكان من الشعراء الذين ظهرت فى شعرهم النزعة القبلية بوضوح والتزام وحفارة ( القطامى ) وهو يعد مثـالا لشعراء الفروسية القبلية ففى شعره أصح دليـل على شعر الحرب الذى سكبه صاحبه على قومه فلم يجعـل لغيرهم نصيبا فى شرفه ، وقد ذهب القطامى بعامود هذا الضرب من الشعر الأقوى (٤٨) .

وكان ( القطامى ) قد أسر فى موقعة ( ماكسين ) لكن ( زفـر بن الحارث ) أكرمه أيما إكـرام فانقلب ( القطامى ) إلى داعية سلام ، وهدد وخوف من الحرب وويلاتها قائلا (٤٩) :

---

(٤٧) الأغانى ١٢/٢٠٤ .
(٤٨) راجـع : شعر الحرب فى أدب العرب : د. زكى المحاسنى ص ٩٠
(٤٩) ديوان القطامى : تحقيق د. السامرائى ص ٣٤، ٣٥، ٤٢ .

امـــور لـــو تدبرهـــا حليـــم
إذن لنهـى وهيـب مـا استطـاعا

ولـكن الاديـــم إذا تفـــــرى
بلى وتعينـــا غلـب الصنـاعـــا

ومعصيـة الشفيـــق عليـــك ممـــا
يزيـدك مـــرة منـــه استمـاعـــا (٥٠)

وخـير الامـــر مـا استقبلـت منـه
وليـس بـان تتبعـــه إتبـاعـــا

كـــذاك ومـــا رايـت النـــاس إلا
إلى مـاجـــر غـــاويهم سـراعـــا

تـراهـــم يغمـــزون مـن استركـوا
ويجتنبـــون مـن صـــدق المصـــاعا

لقد وقف هذا الشـاعر موقفا إنسـانيا كريما ، ولم يسـاير تيـار العصبية الجارف ، واخذ يتوجع لمصـابى القبيلتين – قيس وتغلب – ، ولمـا حدث من فرقة وشقاق جرت إلى قتـل وتشـريد وخراب ودمار .. ويبدو انه فعل ذلك بسبب إحسان ( زفر ) إليه (٥٢) .

---

(٥١) الأبيات الأربعـة الأخيرة فى الشعر والشعـراء اثنين اثنين ص ٧٢٤ ، ٧٢٦ . استركوا : استضعفوا وراوه ركيـكا . المصـــاع، والمماصعة : المقاتلة والمجالدة بالسيوف .

(٥١) راجع : تاريخ الشعر العربى : ج ١ ، محمد عبد العزيز الكفراوى ص ١٨٦ .

**( حـ ) النقـائض الفـردية :**

وهى فـردية لأن كل شاعر كان مشغولا بنفسـه أكثر مما هو مشغول بقبيلتـه ..

وأبرز فرسـان هذا النـوع ( الثالوث ) المـكون من : ( جـرير والفـرزدق والأخطل ) .. ونقائض جرير مع الفرزدق أكثر من نقائضه مع الأخطل وسابقة عليهـا .

**وجـرير** : من بنى كليب بن يربوع .. من تميم ، فهو والفرزدق ابنا عمـومة فكلاهما من تميم . لكن تميما كانت قد توزعت إلى عشائر وبطون ولم يكن يجمعها كيـان واحد .

ولذلك لا تعجب حـين تجد جـريرا ـ فى أول الأمـر ـ زبيرى الهوى قيسى النزعة . أما الفرزدق فقد كان تميمى النسب والنزعة .

وبعد ( جـرير ) حجـر الزاوية فى هـذا الفن ونقطـة اشتراكه وفارسـه الأول .

**بدء النقائض بين جـرير والفرزدق(٥٢) :**

شب خلاف بين عشيرة جرير ( بنى الخَطفى ) و (بنى جحيش) ، وكان ( بنو جحيش ) مفحمين لا يقولون الشعر ، فاستعانوا بـ ( غسان ابن ذهيل بن البراء بن سليط ) ، فهجا ( غسان ) بنى الخطفى ..

وكان ( جـرير ) يرعى غنم أبيـه اذ ذاك ، فمـر ذات يوم على ( غسـان ) ينشد بعشيرته ، فرجز بهم جـرير رجزا قبيحا بالغ فيـه ،

---

(٥٢) راجع تفصيل ذلك فى : تاريخ النقائض فى الشعر العربى ص ٢١٣ وما بعدها .

وهنا لحم التهاجى بين جـرير وغسـان ، واخذ التهاجى صـورة المناقضة الشعرية بعد الرجز . فقال غسان ابياته :

**لعمـرى لئن كانت بجليـة زانهـا**
**جـرير لقد اخـزى كليبـا جـريرها**

فاجـابه جـرير بقصيدته :

**الا بكـرت سلمـى فجـد بكـورها**
**وشـق العصـا بعـد اجتمـاع أميرها**

ثم دخـل شـاعر اسمه ( البعيث ) المجاشعى الدارمى من تميم وتبادل النقائض مع جرير . . وبدأ جرير المناقضة بقوله :

**طـاف الخيـال ، وأين منـك لمـاما**
**فارجـع لـزورك بالسـلام سـلامـا**

فقال البعيث :

**اجـرير اقصـر لا تحـن بـك شقـوة**
**إن الشـقى تـرى لـه أعـلامـا**

غير ان الغلبة كانت لجـرير على مجاشع وشاعرهم ( البعيث ) . ومن هنا قامت نسـاء بنى مجاشع وأتين الفرزدق - وكان قيد نفسـه حتى يجمـع القـرآن وعاهد الله الا يهجو احدا ابدا - فقلن : قبح الله قيدك ، فقد هتك جرير عورات نسائك ، فلحيت شاعر قوم ، فاحفظنه ، ففض قيده وكان قد تنبـأ بالتحامه مع جرير .

فلمـا رأى ما وقـع فيه البعيث قال قصيدته التى يهجى فيهـا البعيث وينهض لمقـاومة جـرير :

**الا استهـــزات منى هنيـدة ان رات**

**اســـيرا يدانى خطـوه حلـق الحجل**

فرد عليه البعيث :

**أهـــاج عليـك الشـوق اطـلال دمنـة**

**بناصفـة الجـوين أو جـانب الهجـل**

فقال جرير يجيب البعيث ويهجو الفرزدق :

**عـوجى علينـا واربعى ربة البغـل**

**ولا تقتليني لا يحـــل لكم قتـــلى**

**نقـائض جـرير والاخطـل (٥٣) :**

قيـل إنه لمـا بلغ الاخطل تهاجى جرير والفرزدق قال لابنه مالك: انحـدر إلى العـراق حتى تسمع منهما فتأتينى بخبرهما ، ففعل ابنه ، ثم لقى أباه فقـال له : وجدت جـريرا يغـرف من بحـر ، ووجـدت الفـرزدق ينحت من صخر .

فقال الاخطـل : الذى يغـرف من بحر أشعرهما ، ثم قال يفضل جـريرا على الفـرزدق :

**إنى قضيت قضـــاء غير ذى جنـف**

**لمـا سمعـت ولمـا جـــاءنى الخـبر**

**إن الفـرزدق قد شـــالت نعـامتـه**

**وعضـه حيـــة من قـومه ذكـــــر**

لكن أحد بنى مجاشع بعث إلى الاخطـل بعطية ضخمة طالبـا

---

(٥٣) راجع : نقائض جرير والاخطل ص ١٩٧ ، وتاريخ النقائض ص ٢١٩ وما بعدها .

إليه أن يهجو جريرا والا يعين على الفرزدق فقال الاخطل فى ذلك :

اخسأ كليب إليك ، إن مجاشعا
وابا الفوارس نهشلا اخوان

قوم إذا خطرت عليك قرومهم
جعلوك بين كلاكل وجران

وإذا وضعت اباك فى ميزانهم
رجحوا وشال ابوك فى الميزان

ولقد تجاريتم إلى احسابكم
وبعثتم حكما من السلطان

فإذا كليب ليس تعدل دار ما
حتى توازن حزرما بابان

أجرير إنك والذى تسمو له
كعسيفة فخرت بحدج حصان

وإذا سمعت بدارم قد اقبلوا
فاهرب إليك مخافة الطوفان

فبلغ ذلك جريرا فقال يرد عليه بنقيضته :

لمن الديار ببرقة الروحان
إذ لا نبيع زماننا بزمان

فرد الفرزدق على جرير بنقيضته :

يا ابن المراغة والهجاء إذا التقت
اعناقه وتماحك الخصمان

وبذلك دخل الاخطل المعركة ، لكنه ندم ، وقال : ما ادخلنى بين رجلين من بنى تميم ، ولما بلغه قول جرير :

**لاقيت مطلع الجراء بنابه**
**روق شبيبته وعمرك فان**

قال الاخطل : صدق ، إنه لشاب ، ولقد وليت .. وبقى فى المعركة حتى هلك .

فقال فيه جرير :

**زار القبور أبو مالك فاصبح اهون زوارها**

فاجابه الفرزدق :

**زار القبور ابو مالك برغم العداة واوتارها**

ولما مات الفرزدق قال جرير :

**هلك الفرزدق بعد ما جدعته**
**ليت الفرزدق كان عاش قليلا**

لكنه بكى ، فسئل : ما يبكيك ؟ قال : بكيت لنفسى ، والله إن بقائى بعده لقليل ، إنه قل ما كان اثنان قرينان أو مصطحبان أو زوجان إلا كان أمد بينهما قريبا ، ثم أخذ يرثى الفرزدق ، وما غبر بعده إلا قليلا حتى هلك .

**مقومات النقائض الأموية :**

١ - كانت الأيام من أهم هذه المقومات ، إذ اتخذ المتناقضون منها ذخيرة ، كل منهم يحاول أن يعرض امجاده ومفاخره ، ويفضح مثالب خصمه ، ويعيره بهزيمة قومه وقد ذكرنا امثلة لها فى النقائض والخصومات القبلية .

٢ - اتخذوا من الانساب ايضا ركيزة فى النقائض ، وكان ينبغى على القوم أن ينسوا هذه المفاخرة بالأنساب إذ نهى الإسلام عنها لكن

الامويين لما نهضوا « اعتمدوا على العصبيات العربية المختلفة ، وكانت الانساب أساس ذلك بين اليمن وعدنان ، وبين ربيعة ومضر ، وبين قيس وتميم ، وبين العرب والموالى ، وبين الاموية والهاشمية ، وعلى ذلك قام الشعراء يؤرثون العداوات ، ويلهبون نارها بالفخر والهجاء »(٥٤) .

هذا ( جرير ) يذكر ان أم ( البعيث ) من سبى أصفهان قائلا :

**انبئت انك يا ابن ( وردة ) آلف**

**لبنى حدية مقعدا ومقاما**

ويعتز ( البعيث ) بنسبه الدارمى فى إحدى نقائضه :

**فانى امرؤ من آل بيبة نابه**

**وساد بنى سفيان أولهم قبلى**

**وجدت أبى من مالك حل بيته**

**بحيث تنصى كل ابيض ذى فضل**

**من الدارميين الذين دماؤهم**

**شفا من الداء المجنة والخبل**

ولكن الفرزدق ينفى البعيث عن مجاشع الدارميين قائلا له :

**وما انت منا غير انك تدعى**

**إلى آل قرط بعد ما شبت عانيا**

وجرير ينسب الفرزدق إلى القين ومعه مجاشع قائلا :

**وجدنا جبيرا ابا غالب**

**بعيد القرابة من معبد**

---

(٥٤) تاريخ النقائض : ص ٥١ .

اتجعـــــل ذا الكـــير مـــن دارم
وأيـن سهيـــــل مـن الفرقـــــد

٣ ـ وتأتى المفـاخرة بالأحساب ، والحسب هو « ما يعد من مفاخـر الآباء أو هو المـال أو الدين أو الكـرم أو الشـرف فى الفعـل أو الشـرف الثابت فى الآباء » .

وكان ذلك من أهم مقومات النقائض الأموية ، وأكثرها شيوعا ، من ذلك قول الفرزدق يرد على جـرير :

منـا الذى اختـير الرجـال سمـاحة
وخـيرا إذا هـب الـرياح الـزعازع
ومنـا الذى أعطى الرســول عطيـة
أسـارى تميم والعيـــون دوامـــع
ومنـا خطيب لا يعـــاب وحـامـــل
أغـــر إذا التفـت عليـــه المجـــامع
ومنـا الذى أحيـــا الوئيـد وغـالب
وعمـرو ومنـا حـــاجب والأقـــارع
ومنـا الذى قـاد الجيـاد على الوجى
لنجـــران حتى صبحتهـــا النـزائع
أولئـــك آبائى فجئـــنى بمثلهـــم
إذا جمعتنـــا يا جـــرير المجـــامع

وفى المقابل يعير المناقض خصمه بمثلبة من المثالب ، ويشنع عليه .. مثـال ذلك حادثة السيف وضـربة الرومى .. فقد حج سليمان بن عبد الملك ، وقدمت إليـه الروم فجعـل يدفعهم إلى وجـوه النـاس لقتلهم ، وقدم لجـرير رجل فضربه فأبان رأسـه ، ودفع إلى الفرزدق

أسير فضربه فلم يصنع شيئا ، فضحك الناس وغضب الفرزدق ، وأخذ يعتذر عن ذلك بالشعر وقال جرير فى ذلك :

أكلفت قيسا ان نبا سيف غالب
وشاعت له احدوثة فى المواسم

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع
ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم(٥٥)

ضربت به عند الإمام فارعشت
يداك وقالوا : محدث غير صارم

ضربت به عرقوب ناب بصوار(٥٦)
ولا تضربون البيض تحت الغماغم

عنيف بهز السيف قين مجاشع
رفيق باخرات الفؤوس الكرازم(٥٧)

وقال الفرزدق فى ذلك :

فلا نقتل الأسرى ولكن نفكهم
إذا أثقل الاعناق حمل المغارم

---

(٥٥) ابن ظالم : هو الحارث بن ظالم المرى أحد فرسان قيس فى الجاهلية .

(٥٦) صوار : يوم من أيام عشيرة الفرزدق ، قام أبوه غالب بنحر مائة بعير للناس وقيل أربعمائة . وجرير يقلب هذه إلى مثلبة إذ يقول : إنكم تعرفون ضرب عراقيب الإبل فقط . والناب : الناقة المسنة .

(٥٧) البيض : خوز المحاربين . الغماغم : أصوات الجيوش .

**فهـل ضـربة الـرومى جـاعلة لـكم**

**ابـا عن كليـب أو ابا مثـــل دارم**

**كذاك سيـوف الهنـد تنبـو ظبـاتها**

**ويقطعـن احيـــانا منـاط التمـــائم**

فقد سخر جـرير بخيبة الفـرزدق وردها إلى خيبة رهطه ، وقال إنها أمر متوارث وقرنها بحادث صوار ومسـألة القيون .

وأما الفـرزدق فاعترف بما حدث واقـر به لكنه اعتذر عنه بان قـومه لا يقتلون الأسـارى وإنما يفكونهم ، وقال جـرير : إن هذا الأمر لا يهمك ولا يرفـع من شـانك ، وان المنتصـرين لابد أن تنبو سيوفهم يومـــا . .

٤ - ثم افتخـروا بشعرهم ورموا خصومهم بالعى تارة ، وبالانتحال والسرقة مـرة أخرى .

فهذا الفرزدق يفتخر بتلمذته على شعر الفحول قائلا :

**وهب القصـائد لى النـوابغ إذ مضـوا**

**وابو يزيد وذو القـــروح وجـــرول**

الأبيـــات

وقـد رمى جـرير بسرقة شعره قائلا :

**ان استـراقك يا جـــرير قصـــائدى**

**مثـل ادعـاء ســـوى أبيـك تنقـــل**

فيرد عليه جـرير قائلا :

**حسـب الفـرزدق أن تسـب مجـاشع**

**ويعـــد شعـــر مـــرقش ومهلهـــل**

نمت هذه النقـائض فى العصـر الاموى نموا كبيرا وساعد على نمـوها :

- حاجة المجتمع العـربى خاصـة فى البصـرة إلى ضرب الملاهى يقطع به الناس أوقاتهم الطويلة .
- كانت القبـائل فى العـراق شديدة الصـلة بحياتها البدوية القديمة فاخذت نيران الهجاء تشتعل فيها اشتعالا شديدا ، وانبرى الهجاءون يملأون واقات النـاس وسـرعان ما تحولت الأهاجى إلى نقـائض مثيـرة .
- اضف إلى ذلك العوامل العقلية .. إذ نما العقـل العربى نمـوا كبيرا وتمـرن على الجدل والحوار والمناظرة فى النحل السياسية والعقيدية وفى الفقـه وشئون التشريع .

لذا رأينـا شعراء النقائض كل منهم يدرس أمجاد ومفاخر قبيلته وما يقابلها من مثالب الخصـوم على مدى تاريخهم الطويل فى الجاهلية وكانت هذه المناظرات تتخذ من سوق ( المـربد ) مسرحا لها(٥٨) ..

**خصـائص النقـائض الامـوية :**

١ ـ ظهرت السمات الإسـلامية فى هذا الفن ظهورا شديدا ، وإن كان فرسان هذا اللون اقـل تاثرا بالإسلام من شعراء الخوارج .

وكان هذا التـاثر منوعا بين تضمين آى القـرآن ، أو أحكام الإسلام ومسايرة روحه ، والفخر به وإنكار ما عداه كالمسيحية وشعائرها .

- فهذا الفرزدق يقول فى نقيضته الشهيرة :

**إن الذى سمـــك السمـاء بنى لنـا**
**بـين دعـائمـــه أعـــز وأطـــول**

من قوله تعالى : « أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها »(٥٩) .

— وقوله :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها
وقضى عليك به الكتاب المنزل

من قوله تعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذ بيتا .. الآية »(٦٠) .

— ويقول :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله
إذا لم تعمد عاقدات العزائم

فهو من قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان .. »(٦١) ففيه حكم فقهى .

أما جرير فكان أشد تأثرا بروح الإسلام ، وقد حمل على المسيحية التى يعتنقها خصمه ( الأخطل ) وأنكر شعائرها ..

— فها هو يشير إلى قصة أصحاب الفيل وعزمهم على هدم الكعبة قائلا :

لما رأوا جم العذاب يصيبهم
صار القيون كساقة الأفيال

— ويقول الأخطل :

---

(٥٩) سورة النازعات : ٢٧ ، ٢٨ .
(٦٠) سورة العنكبوت : آية ٤١ .
(٦١) سورة المائدة من الآية : ٨٩ .

وهو لم يكتف بوصف كليب باللؤم والدناءة وابتذال الناس ، بل جعل نارهم ايضا حقيرة ضئيلة تطفئها مياه قليلة ، وهى سخرية لاذعة .

— وها هو جرير يقول فى تغلب :

**والتغلبى إذا تنحنح للقرى**
**حك استه وتمثل الأمثالا**

صورة قبيحة ، مضحكة .

— ويقول الفرزدق لجرير :

**ازرى بجريك أن امك لم تكن**
**إلا اللئيم من الفحولة تفحل**
**قبح الله مقرة فى بطنها**
**منها خرجت وكنت فيها تحمل**

غير أن جريرا كان أشدهم إفحاشا وإقذاعا ، ولعل ذلك لإحسابه بانه يقف وحده فى مقابل شعراء كثيرين ، فإذا هاجمه شاعر ، أو أعان عليه شخص ، انشب فيه جرير مخالبه ، ونهش عرضه ، ونشر مخازيه ..

٣ - لم تكن هذه النقائض منبعثة من حقن دفين وكراهية بغضاء بقدر ما كانت لونا من العبث الفنى والمباراة الشعرية .

يروى ابن خلكان :

أن جريرا والفرزدق قصدا الرصافة إلى هشام بن عبد الملك مرتدفين على ناقة ، فنزل جرير لقضاء حاجته ، فجعلت الناقة تتلفت فضربها الفرزدق وقال :

**إلام تلفتين وانت تحتى وخير الناس كلهم أمامى**
**متى تردى الرصافة تستريحى**
**من التهجير والدير الدوامى**

ثم قال : الآن يجيء جرير فانشده البيتين فيقول :

تلفت أنهـا تحت ابن قـين
إلى الكـيرين والفـأس والكهـام

متى ترد الرصـافة تخز فيها
كخـزيك فى المـواسـم كل عـام

فجاء جرير والفرزدق يضحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا فراس ؟ فانشده البيتين الأولين ، فانشده جرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله لقد قلت هذا ، فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد ؟!

إلى هذا الحد بلغ توقع أحدهما لما يرد به على الآخر ، وإن صحت هذه الحكاية - فإن ذلك كان بعد طول فترة فى المباريات بينهما حتى عرف كل منهما مذهب صاحبه الفنى .

- كما تدل على أن النقائض بينهما كانت تستحيل أحيانا صنعة فنية ، وكأنها مباراة رياضية ، ولا ضير على من يخسر ، بدليل أنهما مرتدفان على ناقة واحدة ..

٤ - قوة الجدل والتحام الشعراء بالملاحاة فى المعانى والأحداث ، وكان كل شاعر يلتقط كل كلمة يقولها السابق فيبنى عليها نقيضته . مثال ذلك :

- حين قال الفرزدق :

إن الذى سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه أعز وأطول

رد عليه جـرير :

اخـزى الذى سمـك السماء مجاشعـا
وبنى بنـــاءك فى الحضيض الأسفـل

بيتـــا يحمـم قينـــكم بفنـــائه
دنســا مقـاعده خبيـث المـدخـــل

ولقـد بنيـت أخـس بيـت يبتـــنى
فهـدمت بيتـــكم بمثـــلى يذبـــل

ولمـا قال الأخطل :

حتى أصـابت سليمـــا من عداوتنـــا
إحـدى الدواهى التى تخشى وتنتظر

فاصبحت منهـم سنجـــار خاليـــة
والمحلبيـــات فالخـــابور فالســـرر

كـــروا إلى حـــرتيهم يعمـرونهما
كمـا تكـر إلى أوطـــانها البقـــر

قال له جـرير :

مـوتوا من الغيظ غما فى جـزيرتكم
لن تقطعـــوا بطـن واد دونه مضـــر

إنى نفيتـــك من نجـــد فمـا لـكم
نجـد ، ومـا لك من غـور به حجـر

وكان هذا الجدل أصلا من أصول المناقضة .

هذه هى أهم خصائص النقائض الأموية (٤٥) .

---

(٤٥) راجع للتفصيل : تاريخ النقائض ، د. أحمد الشايب .

## ٤ ـــ الـرثـــاء

فن قديم قدم الشعر ، إذ انه مقترن بالموت ، ذلك المصير المحتوم على المخلوقات جميعـا . وهو بكاء الميت ، والتغنى بفضائله ، وإظهار لوعة القلب وحـرقته بفقده ، والاسى لفـراقه ، وبيـان مدى خسـارة القوم ـ أو الرائى ـ بوفاته .

وقد كثر الرثاء فى العصـر الاموى ، ومن عيون المـراثى الاموية رثاء جـرير لزوجته ، وهى من اجود شعره ، ولشيوع هذه القصيدة بين النـاس سميت ( الجوسـاء ) .

يقول جـرير :

**لـولا الحيـاء لهـاجنى استعبـار**
**ولـزرت قبـرك والحبيب يـزار(١)**
**ولقـد ذكـرت ومـا تمتـع نظـرة**
**فى اللحـد حيث تمـكن المحفـار**
**فجـزاك ربـك فى عشـيرك نظـرة**
**وسقى صـداك مجلجـل مـدرار(٢)**
**ولهـت قلـبى إذ علتـنى كبـرة**
**وذوو التمـائم من بنيـك صغـار(٣)**

---

(١) الاستعبار : جريان الدمع من العين .
(٢) الصدى : العطش أو جثمان الميت وعظـامه ، مجلجـل مدرار : سحابة ذات رعد ومطر كثير .
(٣) الوله : ذهاب العقل واختلاطه . التمائم : العوذ والرقى . ذوو التمائم : كناية عن الاطفال المعلقة التمائم فى أعناقهم .

أرعى النجـوم وقـد مضت غـــورية
عصب النجـوم كانهـن صـــوار(٤)

عمـرت مكـرمة المســاك وفارقـت
ما مسهـــا صلـف ولا إقتـــار(٥)

فسقى صـدى جـدث ببرقـة ضـاحك
هـزم اجـش وديمـــة مـــدرار(٦)

كانت مكـرمة العشـــير ولـم يكن
يخشـى غـوائل أم حـزرة جار(٧)

ولقـد أراك كسيت أجمـل منظـــر
ومع الجمـــال سكينـــة ووقـــار

والـريح طيبـــة إذا استقبلتهـــا
والعـــرض لا دنس ولا خـــوار(٨)

وإذا سـريت رأيت نـارك نـــورت
وجهـــا أغـــر بزينـــة الإسفـــار (٩)

---

(٤) الغورية : النجوم التى تاخذ نحو الغـرب للغـروب والسقوط . والعصب : الجماعات . الصوار : قطيع البقر الوحشى .

(٥) مكرمة المساك : عزيزة العشرة الزوجية . الصلف : مجافاة الظرف أو بغض الرجل لزوجه .

(٦) الجدث : القبر . الضاحك : نقب بالجبل . هزم أجش : صـوت الرعد فيه بحة لشدته . ديمة مدرار : سحابة ممطرة .

(٧) العشير : الزوج . الغوائل : الدواهى .

(٨) يقصد أن ريحها طيب وعرضها نقى .

(٩) السرى : السير ليلا . الوجه الأغر : المشرق الوضاء . الإسفـار : الإشراق والوضاءة .

كانت إذا هجـــر الخليـــل فـراشها
خـــزن الحـديث وعفـت الأســـرار(١٠)
صـــلى المـلائكة الذين تخـــــيروا
والطيبـــــون عليـــــك والأبـــرار
وعليـك من صـلوات ربـك كلمـــا
شبـح الحجيـج ملبـدين وغـــاروا(١١)
يا نظـرة لك يـوم هـاجت عبـــرة
مـن أم حـــــزرة بالنمـــــيرة دار(١٢)
وكـان مـنزلة لهـــا بجـلاجـــل
وحـى الـزبـــور تخطـه الأحبـــار(١٣)
لا تكـــثرن إذا جعلـت تـلومـــنى
لا يذهبـــن بحلمـــك الإكثـــــار
كان الخليـط هم الخليـط فاصبحـوا
متبـــــدلين وبالـديـــار ديـــار
لا يلبث القـــــرناء أن يتفـــرقوا
ليـــل يكـــر عليهـم ونهـــــار

---

(١٠) الحليل : الزوج . خزن الحديث : لا تحدث أحدا بريبة . أى أن هذه الزوجة إذا ما حدث بينهـا وبين حليلها نزاع فإنها لا تبوح بالأسرار وليس عندها إلا العفاف .

(١١) شبح الخجيج : رفعوا أكفهم بالتلبية والدعاء . وفى رواية (نصب الحجيج ) .

(١٢) أم حزرة : كنية زوجه .

(١٣) جلاجل : موضع . الأحبار : علماء الدين من اليهود والنصارى.

وقال الفرزدق يرثى بنيه :

تمنى المستزيدة لى المنايا
وهن وراء مرتقب الجدور

فلا وأبى لما أخشى ورائى
من الاحداث والفزع الكبير

أجل على مرزئة وادنى
إلى يوم القيامة والنشور

من البقر الذين رزئت خلوا
على المضلعات من الامور

أما ترضى عدية دون موتى
بما فى القلب من حزن الصدور

بأربعة رزئتهم وكانوا
أحب الميتين إلى ضميرى

بنى أصابهم قدر المنايا
فهل منهن من أحد مجيرى

إلى أن يقول :

ولو كان البكاء يرد شيئا
على الباكى بكيت على صقورى

إذا حنت نوار تهيج منى
حرارة مثل ملتهب السعير

حنين الوالهين إذا ذكرنا
فؤادينا اللذين مع القبور

* * *

## ٥ ـــ الوصـــف

يقول ابن رشيق : « الشعر الا أقله راجع إلى باب الوصف ، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه » . وذلك : أن الشاعر يصف أحاسيسه عند فقد عزيز لديه فيكون الوصف رثاء ، ويصف مشاعره تجاه إنسان يستحق الثناء فيكون مديحا ، ويعجب بنفسه فيصفها فيكون الفخر ، ويحب امرأة فيتغزل فيها فيكون الوصف غزلا ، ويقف على أطلالها فيصفها ... إلخ .

وحين يكون الوصف غرضا بذاته بين اغراض الشعر فإنه يعنى به وصف الطبيعة الصامتة أو الصائتة ، كأن يصف حيوانا ، أو يصف حربا أو مطرا .. إلخ .

وقد ترسم الشعراء الأمويون خطى الجاهليين فى هذا الفن بخاصة .. وقد قصدوا إلى ذلك ـ أحيانا ـ قصدا ..

هذا الفرزدق يأخذ الفاظ امرىء القيس فى معلقته ويقول :

**وقوفا بها صحبى على وإنما**
**عرفت رسوم الدار بعد توهم**
**يقولون : لا تهلك أسى ولقد بدت**
**لهم عبرات المستهام المتيم**
**فقلت لهم : لا تعذلونى فإنها**
**منازل كانت من نوار بمعلم**

وكذلك كان جرير :

« ويفسر النقاد هذه الظاهرة بأن الأمويين وجدوا فى الشعر

الجاهلى تمثيلا لماضيهم فاصبحوا يغتزون ويشتدون فى رؤيته ، ويسعون إلى تقليده ، وبغضهم يذهب إلى أن حياة البداوة الماضية هى التى ساقت إليهم النصر وملكتهم زمام الفرس والروم ، ولذلك تمسكوا بأهدابها ، وحنوا إليها ، وساعد على ذلك نهوض الرواة وعلماء اللغة إلى البحث عن هذا الماضى الجاهلى وعناية الخلفاء به ، وحبهم له ، فجهد الشعراء فى أن يقلدوه إرضاء للعلماء والخلفاء .. »(١) .

ومن أبرز الوصافين فى عصر بنى أمية ( ذو الرمة ) الذى أطلق عليه ( شاعر الحب والصحراء ) .

فلم يكن ( ذو الرمة ) مجرد واصف للصحراء كما كان غيره ، وإنما تميز من بين الشعراء بحبه وعشقه لها ، فهو يصفها وصفا فيه اندماج وطرب .. وشعره فى هذه الناحية يمكن أن يعد من ذوق جديد فى اللغة العربية ، فالشعراء من قبله كانوا يصفون الصحراء من الخارج - إن صح هذا التعبير - أما ذو الرمة فيصفها من الداخل ، داخل نفسه وروحه إذا كان شديد الحس بها ، بل قل : شديد العشق لها .. » .

« .. والصحراء فى ديوان ذى الرمة أهم من صاحبته ، فمناظرها ومشاهدها تطغى عليها طغيانا شديدا ، وهو طغيان أراده ذو الرمة وعمد إليه عمدا .. »(٢) .

لقد أحب الصحراء كما أحب الحب ، أحبها حبا جعله يرى الكثبان الرملية صورة من أوراك العذارى :

---

(١) الوصف : سامى الدهان ص ٤٩ .
(٢) راجع : التطور والتجديد فى الشعر الأموى ص ٢٥٠ وما بعدها .

ورمـل كـأوراك العـــذارى قطعتـــه
إذا جللتـه المظلمـــات الحنـــادس
ركـام تـرى أثبـــاجه حـين تلتقـى
لـه حبـــك لا تختطيـــه الضغـابس(٣)

كما يرى فى اجساد العذارى صورة من كثبان الرمال :

كأن الفـــرند الخســـــروانى لثنـــه
بأعطـاف أنقـــاء العقـوق العـوانك
توضعـن فى قـرن الغـزالة بعـد مـا
ترشفـن درات الذهـــــاب الـركائك (٤)

* * *

(٣) ركام : متراكم - الأثباج : الأوساط - الحبك : الطرائق - لاتختطيه: لا تجـاوزه - الضغانس : الضعفاء من الناس .

(٤) الفريد : ضرب من الثياب - العقوق : موضع - العوانك : رمـال مشرفة صعبة المسـالك - توضحن : برقن - الذهاب : الأمطـار اللينـة - الركائك : الأمطار القليلة .

## ٦ ـ الخمريات

وقد كثر الحديث عن الخمر بعد أن غاب إبان صدر الإسلام ، فهذا القطامى يقول :

وكأس تمشى فى العظام سبيئة
من الراح تعلو الماء حتى تكاثره
كميت إذا ما شجها الماء صرحت
ذخائر حانى عليها يناذره

ومن أشهر شعراء الخمريات فى هذا العصر :
الحزين الكنانى ، والأقيشر الأسدى .

وقد باع الأول ما تفضل به عليه السادة من فاخر الثياب فى الشراب ، وأما الثانى فقد شرب يوما بثيابه حتى انتهت ولم يبق عليه شىء منها ، ولفظته الحانة بعد أن سلبته ثيابه فى البرد الشديد ..

بل إنه باع سلاح الحرب بعد أن فر من جيش ( الحرث بن أبى ربيعة ) الذاهب إلى الشام ، وشرب بثمن السلاح ، وتغنى بذلك، راضيا عن نفسه ، سعيدا بها ، فيقول :

خرجت من المصر الحوارى أهله
بلا ندبة فيها احتساب ولا جعل(١)
فازمعت أمرى ثم أصبحت غازيا
وسلمت تسليم الغزاة على أهلى
وقلت لعلى أن أرى ثم راكبا
على فرس أو ذا متاع على بغل

(١) الندبة : التطوع . الجعل : الأجر . الحوارى أهله : لعله يقصد الكوفة وتشيعهم لآل البيت .

جـــوادى حمـار كان حينـا لظهـره
إكـاف واشنـــان المـــزادة والحبـــل(٢)

واشتهر من الشعراء الامويين بالسكر أيضا ووصف الخمر :

مالك بن اسماء بن خارجة ، وبكر بن خارجة ، وأبو كلدة اليشكرى وأبو الهنـدى(٣) .

ونحن حين نتحدث عن شعراء الخمريات فلا يتأتى أن ننسى رائد هذه المدرسـة فى العصـر الامـوى وهو : الوليد بن يزيد ، الشـاعر الفـارس العاشق محب الخمر .

وللوليد فى ذكـر الخمـر وسقاتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فادخلوها فى أشعارهم وسلخوا معـانيها ، وأبو نواس خاصـة فإنـه سلخ معـانيه كلها وجعلها فى شعره .

وتتميز قصـائده فى الخمـر بسهولة اللفظ والمعنى ، والموسيقى الراقصـة ـ فمن ذلك قوله :

عـــللانى واسقيـــانى  من شـــراب اصبهـانى
من شـــراب الشيخ كسرى  او شـراب القيـروان
إن بالـــكاس لمســـكا  او بكـفى من سقـانى
او لقـد غـــودر فيهـــا  حين صبت فى الـدنان

(٢) الإكاف : البرذعة . الشن : القـربة . المـزادة : إناء يحمـل فيه المـاء .
(٣) راجع لذلك : تاريخ الشعر العربى : الجزء الاول ـ الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى .

كـــللانى توجـــــانى ويشعـــرى غنيـــانى
إنمـــا الـكاس ربيـــع يتعـــاطى بالبنـــات

* * *

وحميـــت الـــكاس دبـت بين رجـــلى ولســانى

خصائص الشعر فى العصر الأموى

١ - من حيث الموضـوعات :

« تمثل الشعر فى هذا العصر فى ينابيع ثلاثة :

- ينبوع قديم مسته أيدى التعديل مسا رقيقا لم يغير شكله العـام وهو الموضوعات القديمة من مدح وفخر وهجاء ورثاء ووصف .
- وينبوع كان فى العصـر الجاهلى ضيق السعة قريب الغور ، وصار فى العصـر الاموى رحبا متباعد النواحى عميق الغور ، وصـار ماؤه أعذب وأصفى وأغزر ، هو الغزل العذرى .
- أما الينبوع الثالث فإنه جديد فى العصـر الأموى ، وهـو على جدته ثر متدفق ، كانما كان مطمورا منذ عهد قريب ، ولم تكد الأيدى ترفـع ما غطاه من رمال وأحجار حتى انبجس ماؤه يزيل الرمال والأحجار ، أريد بهذا الينبوع الجديد الشعر القياسى »(٤)

وقـد رأينـا كيف كان التطـوير فى الهجـاء الذى تحـول إلى نقائض أخذت شكلا جديدا يتسم بالسخرية والفكاهة .

.. أما المديح .. فيقول أحد الباحثين (٥) :

« إن القـارىء للشعر فى تلك الفترة باحثـا عن المعـانى والأفكار قد يصاب أحيانا بشىء من خيبة الأمل ، إذ يرى الشـاعر لا يجهد نفسه

(٤) أدب السياسة فى العصر الأموى د. أحمد الحوفى ص ٢٦١ .
(٥) د. محمد عبد العزيز الكفراوى : تاريخ الشعر العربى ، الجـزء الأول ص ٣١٦ وما بعدها .

كثيرا فى البحث عن أفكار جديدة فهو حين يمدح مثلا قد يأتى بمعان بعضها مأخوذ عن القدماء وبعضها لا يضيف جديدا إلى التراث الإنسانى من الوجهة الاجتماعية والفكرية ، إنه مجرد تمدح بالآباء والأجداد ، فإن ترك ذلك فإلى شىء من أحاديث الشجاعة والكرم ، وليس فيها دائما من حسن العرض ما يرسل فيها الحياة ، وفى سامعيها النشاط والتحمس . فإذا صادفها الحظ ، وأسعفها طبع الشاعر المواتى ، ولغته العذبة ، عاشت على حساب تلك العذوبة ، ونالت بفضلها فقط عناية الدارسين ..

ومن ذلك النوع الأخير قول جرير مادحا هاشم بن عبد الملك :

**أمير المؤمنين على صراط**
**إذا اعوج الموارد مستقيم**
**أمير المؤمنين جمعت دينا**
**وحلما فاضلا لذوى الحلوم**
**لك المتخيران أبا وخالا**
**فاكرم بالخؤولة والعموم**
**فيا ابن المطعمين اذا شتونا**
**ويا ابن الخائدين عن الحريم**
**سما بك خالد وبنو هشام**
**إلى العلياء فى الحسب الجسيم**

إلخ ..

وقد دارت هذه الأبيات حول الشرف بالآباء والأجداد من معان قديمة ، ولكن عذوبة لفظه ، وجريان ماء الطبع فيه ، تجعلنا نتسامح

مع الشاعر وننسى تقصيره فى جانب المعنى(٦) ٠

لقد كان الشاعر الأموى ينظـر إلى الشعر الجاهلى ويستعير منـه كثيرا من الصور ، فهذا الأخطل يقول :

وما الفـرات إذا جاشـت غـواربه
فى حـافتيه وفى أوسـاطه العشـر
وزعزعتـه ريـاح الصيف واضطربت
فـوق الجـآجى من آذية غـدر
مسحنفـر من جبـال الـروم يستره
منهـا اكافيـف فيهـا دونـه زور
يومـا باجـود منـه حـين تسـأله
ولا باجهـر منـه حـين يجتهـر

فهو قد استعار تلك الصـورة من النابغـة الذبيانى إذ يقول فى مدحه النعمـان :

ومـا الفـرات إذا هـب الـرياح له
تمـرى أواذيـه العبـرين بالـزبد
يمـده كـل واد متـرع لجـب
فيـه ركـام من الينبـوت والخضـد
يظـل من خـوفه المـلاح معتصمـا
بالخيـزرانة بعـد الأيـن والنجد
يومـا باجـود منـه سيـب نافـلة
ولا يحـول عطـاء اليـوم دون غـد

(٦) نفسـه : ص ٣١٨ ٠

إذ لا ينبغى أن يقال : إن قصيدة المديح « لم تعد تجرى على النمط القديم أو الأسلوب القديم »(٧) .

ولم يكن الفرزدق اقل تاثرا بالجاهليين من صاحبه ، وكيف لا يتاثر بالجاهليين وقد تتلمذ على شعرهم كما صرح هو بذلك فى ابياته :

**وهب القصائد لى النوابغ إذ مضوا**

**وأبو يزيد وذو القروح وجرول**

ولكن : ليس معنى ذلك إنكار أن هناك بعض الأفكار والمعانى الجديدة التى طرأت على الشعر - حتى التقليدى منه - بامتزاج الأمة العربية مع غيرها من العجم وتاثير الحضارات المختلفة .. أضف إلى ذلك الخلافات المذهبية والحزبية السياسية التى لم يسبق لها مثيل إذ كان الشعراء يجارون السياسة ..

كما أن الشعر الأموى كان معبرا عن البيئة الأموية ، مصورا لجوانب حياتها واحداثها . أضف إلى ذلك ما دخل الشعر من معان إسلامية فى شتى الأغراض .

**٢ - من حيث الخيال والتصوير :**

- فقد كانت صورهم واخيلتهم قريبة إلى الشعر الجاهلى .. واعتمدوا فى التصوير - غاليا - على التشبيه والاستعارة والكناية .

واكثر صورهم قائمة على التشبيه ، واشعرهم إذا شبه (ذو الرمة).. فمن هذه التشبيهات قوله :

---

(٧) التطور والتجديد فى الشعر الأموى : د/ شوقى ضيف ص ١٤٧ .

**فمـا روضـــة من حـر نجـد تهللت**

**عليهـا سمـاء ليـلة والصـبا تسـرى**

**بهـــا ذرق غض النبـــات وحنـــوة**

**تعـاورها الامطـار كفـرا على كفـر**

**باطيـب منهـا نكهـة بعـد هجعـة**

**ونشـرا ، ولا وعســـاء طيبـة النشـر (٨)**

فهو تشبيه تمثيلى ، وقد استغله ذو الرمة ليرسم هـذه الصـورة الجميلة التى يشبه فيهـا أنفاس حبيبته ( ميـة ) بعد النوم بانفـاس روضـة خضراء من رياض نجد تنهل فوقها السماء فى ليـلة من ليـالى الربيع الحـالمة ، ونسمات الصبا تسرى إليها فتحمـل عطـر زهرها ونباتهـا (٩) .

ومن صـورة الاستعارية قوله :

**فلمـا حـدا الليـل النهـار وأسدفت**

**هـوادى الدجى ما كاد يدنو أصيلهـا**

وفيهـا : جعـل الليـل حاديا نشيطا يحدو قافلة النهار الراحلة ، وجعل له أعناقا من الظلمات تمتد فى أثناء هذه الرحلة الغريبة .

ـــ وتاثروا بالقـرآن الكريم والحديث الشريف فى صورهم أيضـا ، وابرزهم فى ذلك شعراء الخوارج . فهذا شاعرهم يقول :

**ونحن بنـو الإســـلام والله ربنـــا**

**واولى عبـد الله بالله مـن شـــكر**

فهو قريب من معنى الآية الكريمة **( ان اكرمكم عند الله اتقاكم )** .

---

(٨) الذرق : نبت . الكفر : المطر .

(٩) راجع : ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ص ٣١٣ .

٣ - من حيث الألفـــاظ :

ظل الشعر فى العصـر الأمـوى محـافظا على اللغـة العربيـة وسلامتها من العجمة ، وغلبت البداوة على لغـة الشعر ، وكان هنـاك من الشعراء من كان بدويا خالصـا .. كذى الرمة مثلا ، هذا الذى أحب الصحراء بل وعشقها ، فعـاش بهـا واكتسب منهـا سليقته اللغـوية وفصاحته البدوية ، وخلصت له لغـة البادية صفية نقية ، وتزود منها بثروة ضخمة من الألفاظ والتراكيب(١٠) .

وكذلك ظل كثير من الشعـراء والرجاز يسيطـر عليهم المظهـر الجاهلى ومن هؤلاء الرجاز ( رؤبة ) الذى يمدح مـروان بن محمـد قائـلا :

وكم جـــلا مـــروان حتى اشـــرقا
من غمـــــرات تبلـــغ المخنقـــــا(١٠)
فنصـــــــر الله بـــه واعتقـــــــا
فالحمـــد للـــه عـــلى مـــا وفقـــــا
فاجتمـــــع الأمـــر لـــه فاستومقـــا
لفـــــا يـــدانى بين مـــن تفـــــرقـــا
مـــا زال ينـــفى المفســـــدين البوقـــا
ويغتـــزى مـــن بعـــد أفـــــق افقـــا
حـــتى اشفـــتروا فى البـــلاد ابقـــا
قتـــلا وتعـــويقا على مـــن عـــوقا
فســـــكن الله القـــلوب الخفقـــــا
واعتـــاق عنـــه الجـــاهلين العـــوقا

---

(١٠) راجع : ذو الرمة شـاعر الحب والصحراء د/ يوسف خليف ، ص ٣٦٤ .

وما ذلك إلا لأنهم أقاموا بعيدا عن مراكز الحضارة ، ولذا جاءت عباراتهم خشنة غليظة ، ثم لإقبال علماء اللغة والشواهد عليهم ، فشغفوا بالغريب ٠٠ وكان ذلك ما يميز الرجاز جميعا ٠٠ أما الشعراء فأحيانا يغربون وأخرى يسلسون ويعذبون ٠

**٤ - التهذيب والتنقيح :**

ولم تنحرف صور التجديد بصناعة الشعر إلى مذهب جديد فى صنع نماذجه ، فقد ظل المذهب مذهب التهذيب والتنقيح الذى لمسناه فى الشعر الجاهلى ، ولكنه نما نموا واسعا ، فقد أقبل الشعراء يبالغون فى الاهتمام بصنعتهم ، ويوفرون لها كل ما يمكن من تجويد وتحبير ، وأعلنوا ذلك فى شعرهم ، فقال ذو الرمة :

**وشعر قد أرقت له طريف**
**أجنبه المساند والمحالا**

وقال عدى بن الرقاع :

**وقصيدة قد بت أجمع بينها**
**حتى أقوم ميلها وسنادها**
**نظر المثقف فى كعوب قناته**
**حتى يقيم ثقافه منآدها(١١)**

* * *

(١١) راجع : الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، د/ شوقى ضيف ص ٣٤ ، الخصومات البلاغية والنقدية فى صنعة أبى تمام : د/ عبد الفتاح لاشين ص ٧ ، ط دار المعارف ٠

# الباب الثانى

## النثـر فى العصـر الامـوى

ظـل الشعر فى العصـر الاموى صاحب السيادة ، إلا أن النثـر ازدهـر بصـورة كبيرة .. وكانت أبرز فنون النثر :

( الخطابة ـ الحوار ـ الكتابة الفنية ـ الوصايا ) .

### اولا : الخطـــابة

لمـا كان للخطابة دورها العظيم فى التـأثير فى الجماهير كان لابد من انتعاشها فى عصـر بنى أمية مواكبة للخلافات السياسية الحزبية الواسعـة ، وكانت السـلاح القـولى الذى يعتمـد عليـه السـاسة من الاحـزاب المختلفـة .

وكان وراء هذا الازدهار عدة عوامل :

١ ـ تعدد الاحـزاب السياسية التى احتاجت إلى الدعاية والإعلان ، فكان الخطباء بمثابة المتحدثين الرسميين للاحزاب .

٢ ـ الشجاعة التى اتصف بها النـاس ولاسيما المنتمون إلى الاحزاب المعارضـة ، فمعظمهم كان لا يبـالى بالحـزب الحاكم ، ولا يعبأ بأسـلوب الترغيب والترهيب الذى سلكه ، فكان الخطباء يعلنون آراءهم بكل جراة ، وذلك فى إطار الحرية .

وقد استغل النـاس ما اعلنه ( معـاوية ) فى بادىء الامـر من انه يسوس النـاس بالحلم وسعة الصدر ، والتجاوز عن الساءة القولية ، فهـو القـائل : « إن لم يكن إلا مـا يشفى به القـائل بلسـانه ، فقـد

جعلت ذلك له دبر أذنى ، وتحت قدمى »(١) .

٣ - كثرة الحروب والثورات .

فقد كان الثائرون خطباء ، وكان القواد المنوط بهم إخماد الثورات خطباء كذلك ، كما كان القواد الفاتحون ذوى السنة فصيحة ، فاتخذ هؤلاء وأولئك الخطابة سلاحا لهم يؤيدهم ويؤازرهم .

٤ - مواهبهم البيانية .

ذلك أن العرب أوتوا موهبة البيان ، والبديهة المسعفة ، والفصاحة المتوارثة ، وكانوا يحرصون على لغتهم وأدبهم حفظا ورواية ، كما اتخذ الخلفاء المؤدبين الذين يعلمون أبناءهم ويربونهم تربية على اللسان العربى الفصيح وأشعار الجاهليين ، فلا غرو أن تجد الخلفاء والولاة على هذا القدر من الفصاحة والبيان فى خطبهم .

* **الخطابة الحزبية :**

إذا كان لكل حزب شعراؤه - كما ذكرنا - فقد كان لكل خطباؤه كذلك ، واشتهر فى كل حزب عدد غير قليل من الخطباء المفوهين .

١ - **الحزب الأموى :**

كان الخلفاء الأمويون على قدر عظيم من الفصاحة والبيان ، واشتهر من الخلفاء بالخطابة : ( معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان ... وغيرهم ) .

أما ( معاوية ) فقد كان ماهرا فى الخطابة ، يصف أحد الشعراء تلك المهارة قائلا :

ركوب المنابر وثابها معن بخطبته مجهر

---

(١) راجع : الحوفى - دأب السياسة ص ٣٦٤ . دبر أذنى : وراءها أى لم أعره اهتماما كالذى لم أسمعه .

**تريـح إليه هوادى الكلام  إذا ضل خطبته المهـذر**

وكان يستخدم دهاءه فى خطبه ، يلين تارة ويشتد أخرى ..

كان معـاوية قد أخذ على نفسـه موثقـا أن يولى ( الحسن بن على ) أمـر المسلمين من بعده ، لكنه نقض العهد ، وولى يزيد ابنه . وزار المدينة وأرغم النـاس على مبايعة يزيد ..

وهنا انبرى ( الاحنف بن قيس ) — وهو أحد خطباء العلويين — يخطب فى الجموع التى أتت تبايع ( يزيد ) ..

بعد أن حمد الله وأثنى عليـه قال(٢) :

« يا أمير المؤمنـين ، إنا قد فـررنا عنـك قريشـا ، فوجدناك أكرمها زندا ، وأشدها عقدا ، وأوفاها عهدا ، وقد علمت أنك لم تفتح العـراق عنـوة(٣) ، ولم تظهـر عليـه قعصـا(٤) ، ولكنك أعطيت الحسن بن على عهودا من الله ما قد علمتـه ليكون له الأمـر من بعدك ، فإن تف فانت أهـل الوفاء ، وإن تغـدر تعلم والله أن وراء الحسـن خيولا جيـادا ، وأذرعا شدادا ، وسيوفا حدادا ، إن تدن منه شبرا من غدر تجد وراءه باعا من نصـر ، وإنك تعلم أن أهل العـراق ما أحبوك منذ أبغضـوك ، ولا أبغضـوا عليـا وحسنا منذ أحبوهما ، وما نزل عليهم فى ذلك خبر من السماء ، وإن السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم ، والقلوب التى أبغضوك بها لبين جوانحهم ، وايم الله إن الحسن لأحب إلى أهل العراق من على » .

---

(٢) جمهرة خطب العرب ٢/٢٣٠ .
(٣) عنـوة : قهـرا .
(٤) قعصا : يقال مات قعصا إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

فقال معـاوية يهدد ويتوعد :

( أيها النـاس : إن لإبليس من النـاس إخـوانا وخـلانا بهـم يستعد ، وإياهم يستعـين ، وعلى ألسنتهم ينطـق .. وليسوا أولئـك بمنتهين ولا بمقلعين ، ولا متعظين ، حتى تصيبهم صواعق خزى وبيل ، وتحـل بهم قـوارع أمـر جليل ، تجتث أصولهم كاجتثاث أصول الفقع ، فأولى لأولئـك ثم أولى ، فإنا قدمنا وانذرنا إن أغنى التقدم أو نفـع النـذر ) .

فقام ( يزيد بن المقفع ) مناصرا معـاوية وقال :

( أمير المؤمنين هذا ، وأشـار إلى معـاوية ، فإن هلك هذا فهذا وأشـار إلى يزيد ، فمن أبى فهذا ، وأشـار إلى سيفه ) .

فقـال معـاوية :

( اجلس فانك سيد الخطبـاء ) .

وخطب بالمدينة سنة ٤١ هـ فقال ـ بعد حمد الله والثناء عليه ـ :

( أما بعد . فانى والله ما وليتها بمحبـة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتى ، ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة .

ولقد رضت لكم نفسى على عمل ابن أبى قحـافة ، وأردتها على عمـل عمـر فنفرت من ذلك نفـارا شديدا ، وأردتها على سنيات عثمان فابت على . فسلكت بها طريقا لى ولكم فيـه منفعـة : مؤاكلة حسنة ، ومشـاربة جميلة فان لم تجدونى خيركم ، فإنى خير لكم ولاية .

والله لا أحمـل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن إلا مـا يستشفى به القـائل بلسـانه ، فقد جعلت ذلك له دبر أذنى ، وتحت قدمى ، وإن لم تجـدونى أقـوم بحقكم كله فاقبلوا منى بعضـه ، فإن أتاكم منى خير فاقبلوه . فإن السيل إذا جاد يثرى ، وإذا قل أغنى .

وإياكم والفتنة ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة » .

وكان ( معاوية ) مع فصاحته ولسنه وبلاغته النابعة من قرشيته القريبة - يعمد إلى الإيجاز فى خطبه .. وقد جعل خطبته على قصرها تحوى المعانى الكبيرة التى أراد أن يعبرّ عنها (٥) .

أما ( عبد الملك بن مروان ) فكان ممن يمتلكون ناصية البيان ، ولذا كان خطيبا مفوها ، ولا غرو فهو صاحب النظرات النقدية الفاحصة التى تنبىء عن ملكة نقدية وحاسة فنية مرهفة .

حينما قاد بنفسه جيشاء للقضاء على ( مصعب بن الزبير ) والى ( عبد الله بن الزبير ) على العراق ، كتب له النصر ، وقتل مصعب فى المعركة دخل ( عبد الملك ) الكوفة فصعد منبرها ثم قال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس : إن الحرب صعبة مرة ، وإن السلم أمن ومسرة ، وقد زينتنا الحرب وزبناها ، فعرفناها والفناها ، فنحن بنوها وهى أمنا .

أيها الناس : فاستقيموا على سبل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية ، وتجنبوا فراق جماعات المسلمين ، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين وأنتم لا تعملون أعمالهم ، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شرا ، ولن نزداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة ، فمن شاء منكم أن يعود بعد لمثلها فليعد ، فإنما مثلى ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة :

---

(٥) الأدب فى موكب الحضارة : ص ٢٤٠ .

من يصـــل نارى بـلا ذنب ولا تـرة
يصـل بنـــار كـــريم غـير غـــــدار(٦)
انا النـــذير لكم مـنى مجـاهـــــرة
كى لا الام عـلى نهـــى وإنـــــذار
فإن عصيتـم مقـــالى اليـوم فاعترفوا
أن سـوف تلقـون خـزيا ظـاهر العار
لترجعـــن احـاديثـــا ملعنـــة
لهـو المقـيم ولهـــو المـدلج الســارى(٧)
مـن كـان فى نفسـه حوجـاء يطلبها
عنـــدى فـإنى لـه رهـــن بإصحـــار(٨)
اقيـم عرجتـــه إن كـان ذا عـــــوج
كما يقـــوم قـدح النبعـــة البـــارى
وصـاحب الوتر ليس الدهـــر مدركـه
عنـــــدى وإنى لـدراك بأوتـــــار

وحـرص خلفـاء بنى أميـة أن يتحقـق فيمن يختـارونهم ولاة وعمالا عدة خصـال منها : الجـراة والإقدام والشجاعة ،و من الصفات الاساسية : الفصـاحة واللبـاقة والفطنـة والكياسـة والدهـاء وحسـن السيـاسة .. إلخ .

ولذا لا تعجب حين تجد كل الولاة خطبـاء مفوهـين ، دهاة ،

---

(٦) ترة : ظلم .
(٧) المدلج : السـائر آخـر الليـل .
(٨) الحوجاء : الحاجة . الإصحار : البروز إلى الصحراء . والمعنى : أنه لا مانع أو حاجب بينى وبينه .

ساسة ... ولعل من أبرزهم الطاغية (الحجاج بن يوسف الثقفى) ..

خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة فجاة حين انتشر النهار .. ، فبدأ بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر وهو ملثم بعمامة خز حمراء ، حجبت أكثر وجهه ، متقلدا سيفا ، متنكبا قوسا ، وسكت ساعة لا يتكلم .

فقال الناس بعضهم لبعض : قبح الله بنى امية حيث تستعمل مثل هذا على العراق ، حتى قال عمير بن ضابىء البرجمى : الا أحصبه لكم !! فقالوا : تمهل حتى ننظر .

فلما رأى الحجاج عيون الناس إليه ، حسر اللثام عن فمه ونهض فقال :

**انا ابن جلا وطلاع الثنايا**

**متى أضع العمامة تعرفونى(٩)**

أما والله إنى لأحتمل الشر بحمله . وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله . وإنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها ، وإنى لصاحبها ، وإنى لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى .

**قد شمرت عن ساقها فشمرا**

ثم قال :

**هذا أوان الشد فاشتدى زيم**

**لقد لفها الليل بساق حطم(١٠)**

---

(٩) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحى ، وهى فى الأصمعيات . ابن جلا : أى مشهور . طلاع الثنايا : أى جلد قوى أكثر طلوع طرق الجبال .

(١٠) زيم : اسم لفرس أو ناقة . الشد : العدو . الساق الحطم : الظلوم .

**ليس براعى غنم ولا ابل**

**ولا بجزار على ظهر وضم(١١)**

وقال ايضا :

**قد لفها الليل بعصلبى**

**أروع خراج من الدوى(١٢)**

**مهاجر ليس باعرابى(١٣)**

إنى والله يا أهل العراق ، والشقاق والنفاق ، ومساوىء الاخلاق ما اغمز تغماز التين ، ولا يقطع لى بالشنان(١٤) ، ولقد فررت عن ذكاء(١٥) ولقد فتشت عن تجربة ، وجربت من الغاية ، وإن امير المؤمنين - أطال الله بقاءه - نثر كنانته(١٦) بين يديه ، فعجم عيدانها(١٧) ، فوجدنى أمرها عوداً ، وأصلبها مكسرا ، فرماكم بى ، لأنكم طالما اوضعتم(١٨) فى الفتن ، واضطجعتم فى مراقد الضلال ، وسننتم سنن الغى ، أما والله لألحونكم لحو العصا(١٩) ،

---

(١١) وضم : الخشبة التى يقطع عليها اللحم أو كل ما كان كذلك .

(١٢) عصلبى : شديد . الأروع : الذكى الشجاع ، وقيل هو الذى يروعك حسنه ، الدوى : المفازة المهلكة .

(١٣) ليس باعرابى : اى ليس في سذاجة الاعرا بالبدو .

(١٤) الشنان : جمع شن ، وهى القربة البالية ، وكانوا يحركونها إذا استحثوا الإبل للسير لتفزع فتسرع .

(١٥) فررت : أى اخترت .

(١٦) نثر كنانته : جعبة سهامه .

(١٧) عجم العود : عضه ليعرف صلابته .

(١٨) أوضعتم : أسرعتم .

(١٩) لحا العصا : قشرها .

ولأقرعنكم قرع المروة(٢٠) ، ولأعصبنكم عصب السلمة(٢١) ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل(٢٢) ، فإنكم لكاهل « **قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها غدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** » وإنى والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق(٢٣) إلا فريت(٢٤) ، فإياى وهذه الشغباء والزرافات والجماعات ، وقال وقيل وما تقول ! وفيم أنت وذاك .

أما والله لتستقيمن على الطريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده ، وإن أمير المؤمنين أمرنى بإعطائكم أعطياتكم ، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة ، وإنى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه ، وأنهبت ماله ، وهدمت منزله »(٢٥) ..

والحجاج فى خطبته هذه يرهب ويهدد ويتوعد ، وهذا ما اقتضاه المقام ، ذلك لأن أهل العراق لم يستجيبوا لبنى أمية ، وأيدوا عليا ثم الخوارج ، ثم بايعوا ابن الزبير .. ولذا فقد عمد إلى أسلوب الشدة كما رأيت .

وإذا كان الحجاج خطيبا مفوها ، واشتهر ذلك عنه ، وأثرت عنه

---

(٢٠) المروة : حجارة بيضاء تخرج الشرر عند قدحها .

(٢١) السلمة : شجرة كثيرة الشوك .

(٢٢) أى الابل الغريبة التى تدخل وسط قطيع غير قطيعها فتشرب الماء وهناك تضرب ضربا شديدا .

(٢٣) أخلق : أقدر .  (٢٤) فريت : قطعت .

(٢٥) البيان والتبيين ٢/٣٠٧ - ٣١٠ ، والعقد الفريد .

عبـارات كثيرة « فهنـاك من يمكن أن يعتبر أحيـانا أخطب منـه ، وأرسى وأعقـل ، وأسبـق ، وهـو زياد بن أبى سفيـان الذى عـرف باسم(٢٦) زياد بن أبيـه(٢٧) » .

ولد فى عام الهجـرة أو قبله بقليـل لجارية فارسية كانت لطبيب العرب الشهير : الحارث بن كلدة الثقفى .

وفى عهـد عمـر ، نسبه أبو سفيـان إلى نفسـه .. خـرج مع الجيوش الغـازية فى الشرق .. وعـرف عنه الذكاء والفصاحة .. اشهر ما له خطبته المسماة بـ ( البتراء ) .

وإذا كان قد أبدع فى خطـابته السياسية فهـو كذلك أيضـا فى خطابته الدينيـة ، وهذه إحدى خطبه - يقال إن عبد الملك بن مـروان كتبهـا بيده :

« إن الله عز وجل جعـل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعتـه ، فالنـاس بين محسن ببنعمـة الله ، ومسىء بخذلان الله إياه . ولله النعمـة على المحسن ، والحجـة على المسىء ، فما أولى من تمت عليـه النعمـة فى نفسـه ورأى العبرة فى غيره أن يضـع الدنيـا بحيث وضعها الله ، فيعطى ما عليـه منها ولا يتكثر مما ليس له فيهـا ، فإن الدنيـا دار فنـاء ، ولا سبيـل إلى بقائها ، ولابد من لقـاء الله عز وجل ، فاحذركم الله الذى حذركم نفسـه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخـرته العجـزة قبـل أن تصـيروا إلى الدار التى صـاروا إليهـا ، فلا تقدروا على توبة ، وليست لكم منها أوبة » .

---

(٢٦) الأدب فى موكب الحضـارة : ص ٢٥٢ .

(٢٨) راجع : أسد الغابة ، طبقات ابن سعد ، المعارف لابن قتيبة .

٢ - خطب الشيعة :

قال الحسين بن على يخطب فى أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة(٢٩) بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس - إن رسول الله - ﷺ - قال : من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ، ناكثا بعهد الله ، مخالفا لسنة رسول الله - ﷺ -، يعمل فى عباده بالإثم والعدوان ، فلم يغير عليه بعقل ولا قول ، كان حقا على الله أن يدخله مدخله .

ألا وإن هؤلاء(٣٠) قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمان وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفىء(٣١) ، وأحلوا حرام الله ، وحرموا حلاله ، وأنا أحق من غير .

وقد أتتنى كتبكم ، وقدمت رسلكم ببيعتكم ، أنكم لا تسلمونى(٣٢) ولا تخذلونى ، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم .

وأنا الحسين بن على ، وابن فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - نفسى مع أنفسكم ، وأهلى مع أهليكم ، فلكم فى أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ، وخلعتم بيعتى من أعناقكم ، فلعمرى ما هى لكم بنكر . لقد فعلتموها بأبى وأخى وابن عمى مسلم . والمغرور من اغتر بكم ، فحظكم أخطأتم ، ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغنى الله عنكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(٣٣) .

---

(٢٩) الحر : هو ابن يزيد التميمى القائد الذى بعثه عبيد الله بن زياد ليقبض على الحسين .

(٣٠) يقصد بنى أمية .

(٣١) أى الخراج .

(٣٢) أى تخذلونى .

(٣٣) راجع : أدب السياسة فى العصر الأموى ، د/ أحمد الحوفى : ص ٣١٣ ، والأدب فى موكب الحضارة : ٢٧٣ .

وخطب ( عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ) وذلك لما أراد معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد فعارض عبد الله قائلا - بعد حمد الله - :

« إن هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن ، فأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله، وإن أخذ فيها بسنة رسول الله، فأولو رسول الله ، وإن أخذ بسنة الشيخين أبى بكر وعمر ، فأى الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول ؟

وايم الله لو ولوه بعد نبيهم ، لوضعوا الأمر موضعه ، لحقه وصدقه ، ولأطيع الله ، وعصى الشيطان ، وما اختلف فى الأمة سيفان . فاتق الله يا معاوية ، فإنك قد صرت راعيا ونحن رعية ، فانظر لرعيتك فإنك مسئول عنها غدا .

وأما ما ذكرت من ابنى عمى ، وتركك أن تحضرهما ، فوالله ما أصبت الحق ، ولا يجوز لك ذلك إلا بهما ، وإنك لتعلم أنهما معدن العلوم والكرم ، نقل أو دع . واستغفر الله لى ولكم » .

ولما قتل الحسين أخذ الشيعة يحرضون على الثأر له وهذه خطبة محمد بن الحنفية فى جمع من أصحاب المختار بن أبى عبيد :

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أما بعد : فأما ما ذكرتم مما خصنا الله به من فضل ، فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، فلله الحمد . وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين ، فإن ذلك كان فى الذكر الحكيم ، وهى ملحمة كتبت عليه ، وكرامة أهداها الله له ، رفع بها كان مهنا درجات قوم عنده ، ووضع بها آخرين ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ، فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه .

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

## ٣ ـ خطب الخوارج

ومعظم خطبهم تدور حول الحث على الجهاد ..

( ١ ) يقول أحدهم وهو ( حيان بن ظبيان ) فى جمع منهم حاثا على الجهاد :

بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

« أما بعد فإن الله عز وجل كتب علينا الجهاد ، فمنا من قضى نحبه ، ومنا من ينتظر ، وأولئك الأبرار الفائزون بفضلهم . ومن يكن منا ينتظر فهو من سلفنا القاضين نحبهم ، السابقين بإحسان ، فمن كان منكم يريد الله وثوابه ، فليسلك سبيل أصحابه وإخوانه ، يؤته الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله مع المحسنين » .

وهى خطبة تتميز بالإيجاز ، مناسبة للمقام ، إذ أن كثرة الكلام ينسى بعضه بعضا ، وهو يريد أن يبقى عبارات معدودة فى أذهان المخاطبين .

وهو متأثر ـ ككل الخوارج ـ بالقرآن الكريم فى المعانى وفى بعض التعابير مثل : منا من قضى نحبه ومنا من ينتظر ، يؤته الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

**٤ ـ خطب الزبيريين :**

ذهب معاوية إلى الحجاز ، ليكره الناس على مبايعة ابنه يزيد فعارضه عبد الله بن الزبير قائلا ـ بعد حمد الله والثناء عليه ـ :

« إن هذه الخلافة لقريش خاصة ، فاتق الله يا معاوية ، وانصف من نفسك ، فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ـ ﷺ ـ ، وهذا عبد الله بن جعفر ذى الجناحين ، ابن عم رسول الله ـ ﷺ ـ

وانا عبد الله بن الزبير إبن عمة رسول الله - ﷺ - على خلف حسنا وحسينا ، وانت تعلم من هما .

فاتق الله يا معاوية ، وانت الحاكم بيننا وبين نفسك .. »

والإيجاز واضح فى الخطبة ، وهى مرتجلة لا تكلف فيها . ولا تعقيد ولا التواء ..

وقال عبد الله لما بلغة قتل اخيه مصعب سنة ٧١هـ :(٣٤)

« الحمد لله الذى له الخلق والأمر ، وملك الدنيا والآخرة ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء .

أما بعد فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه ، وإن كان معه الأنام طرا ، ولم يذل من كان الحق معه ، وإن كان مفردا ضعيفا .

ألا وإنه قد أتانا خبر من العراق ، بلد الغدر والشقاق ، فساءنا وسرنا . أتانا أن مصعبا قتل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأما الذى أحزننا من ذلك ، فإن لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر وكريم العزاء .

وأما الذى سرنا منه ، فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له ، وانه عز وجل جاعل لنا وله فى ذلك الخيرة إن شاء الله تعالى .

أسلمه الطغام(٣٥) الصم الآذان ، أهل العراق ، إسلام النعم المخطمة(٣٦) ، وباعوه بأقل من الثمن الذى كانوا يأخذون منه ،

---

(٣٤) الأغانى ١٦٦/٧ .

(٣٥) الطغام : الأوغاد .

(٣٦) المخطمة : أى التى )طمث كما يخطم البعير بوضع ما يقاد به فى أنفه .

فإن يقتل فقد قتل أبوه وعمه وأخوه(٣٧) ، وكانوا الخيار الصالحين .

إنا والله لا نموت حتف آنافنا(٣٨) ، ولكن قعصا(٣٩) بالرماح ، موتا تحت ظلال السيوف ، ليس كما يموت بنو مروان .

والله ما قتل منهم رجل فى زحف فى جاهلية ولا إسلام قط . الا وإنما الدنيا عارية من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه فإن تقبل الدنيا على لم آخذها أخذ الأشر البطر(٦٠) ، وإن تدبر عنى لم ابك عليها بكاء الخرق(٤١) المهين .

اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم

**خصائص الخطابة فى عصر بنى أمية**

بعد أن سقنا عددا من الخطب لكل حزب من الأحزاب على حدة راينا أن الخطب بعامة تشترك فى عدة خصائص من أهمها :

١ ـ من حيث الاستهلال : بدئت الخطبة بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله .. وتكاد تكون كل الخطب كذلك فيما عدا خطبة « زياد بن أبيه » ومن هنا اشتهرت بالبتراء .

---

(٣٧) أما أبوه فقد قتل بعد وقعة الجمل ، وأما عمه عبد الرحمن فاستشهد يوم اليرموك ، وأما أخوه المنذر بن الزبير فقد مات فى مبارزة سنة ٦٤/ راجع الأدب فى موكب الحضارة ص ٢٦٨

(٣٨) مات حتف أنفه : أى على سريره دون قتل ، وسمى كذلك هذا النوع لأن العرب كانوا يتصورون أن روح تخرج من أنفه .

(٣٩) قعصا : ضربا أو رميا يميت بسرعة .

(٤٠) الأشر البطر : المتكبر المغرور .

(٤١) الخرق : المدهوش المبهوت أو المهين الحقير .

وهناك من الخطباء من بدأ خطبته بأبيات من الشعر فيه تهديد ووعيد .. كخطبة الحجاج التى أسلفناها .

وقد تبدأ الخطبة بدون حمد أو بسملة وخاصة إذا كانت ردا على خطبة أخرى أو معارضة لها ..

٢ - من حيث التعبير فيتسم بـ : قوة العبارة وحرارتها ، لأنها تعبر عن مشاعر مهتاجة ، ونفوس ثائرة حانقة مثل قول على - كرم الله وجهه :

« أبيتهم على إباء المخالفين الجفاة ، والمنابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضن الزند بقدحه » .

- قصر الجمل ، والعناية بالجرس اللفظى ، والإيقاع الصوتى ممثلا فى السجع ، مثال ذلك :

قول الحجاج : « إن للشيطان طيفا ، وللسلطان سيفا ، فمن سقمت سريرته ، صحت عقوبته ، ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ... »

- الإيجاز البليغ غير المخل وغير المتناهى فى القصر .

٣ - التأثر بالقرآن الكريم . اقتباسا ، أو استمدادا للمعانى .

فقد افتنوا فى وضع آيات أو أجزاء من آيات من القرآن الكريم فى مواضعها من الخطب ، وهذا إن دل فإنما يدل على تذوقهم وفهمهم للقرآن فلم يجدوا أبلغ من آياته للتعبير عما يجول بأذهانهم ، ثم إن تأثير آيات القرآن عظيم فى نفوس السامعين .

يقول الجاحظ :

« وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن ، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وسلس الموقع ..

حتى الحجاج بن يوسف - وهو من هو طغيانا - يستشهد بالقرآن كثيرا ، فقد قال فى خطبته لاهل العراق « .. فإنكم لكاهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ... الآية » ..

ولم يكتفوا بالاقتباس بل استلهموا واستمدوا معاينة من ذلك قول معاوية مثلا :

« إن الله لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه » فهو معنى قوله تعالى **( والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب )** وقوله تعالى **( حتى يقضى الله امرا كان مفعولا )** .

على أن أكثر الخطباء اقتباسا واستمدادا للمعانى من القرآن هم خطباء الخوارج فالشيعة فالزبيريين .. وقل ذلك فى خطب الامويين ما عدا الحجاج .

٤ - الاستشهاد بالشعر .

وكانوا يبدأون به خطبهم أحيانا كما قال الحجاج :

**انا ابن جلا وطلاع الثنايا**
**متى اضع العمامة تعرفونى**

وكان الشعر فى ذلك العصر لا تزال له مكانته العظيمة ، وكان معظمهم يحفظون كثيرا منه ، فيتمثلون به ، أو يستمدون منه المعانى .

٥ - إثارة العواطف وشحن النفوس .

ومثال ذلك ما جاء فى قول « طارق بن زياد » **حين أحرق السفينة** وخطب فى جنده :

« اين المفر . البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر . واعلموا انكم فى هذه الجزيرة اضيع من الايتام فى قارب اللئام .. » .

٦ ـ التخييل والتصوير :

وقد أكثروا من الأساليب البيانية تشبيها واستعارة وكناية فمن تشبيهاتهم : قول الحجاج فى خطبته التى ذكرناها :

« والله لأحزمنكم حزم السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل »

ومن الإستعارة قوله :

« إنى لأرى رءوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإنى لصاحبها »

ومن الكناية قول معاوية :

« إن لم يكن ما يستشفى به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر أذنى ، وتحت قدمى » .

## ثانيا : الحوار

« الجدل ، وسعة المعرفة ، وسرعة البديهة ، ولمحة الفطنة ، وبراعة الرد ، وحسن التخلص .. كل ذلك كان مما تميز به العربى خاصة إذا وقع فى مأزق فى ساحة حاكم ، أو دفعته المقادير راغماً إلى حضرة والى ظالم ، ولعل أكثر المحاورات طرافة وإمتاعا تلك التى كانت تجرى بين الحجاج بن يوسف ومن دفعت بهم المقادير إلى ساحته ، وهو الوالى الظلوم الغشوم الذى قلما سلم متعرض له من ضربة سيف تطيح برأسه »(٤٢) .

وقد ذاع هذا النوع من النثر الشفهى فى العصر الأموى نتيجة للخلافات السياسية والحزبية كما عرفت .

وهذا اللون النثرى شبيه بالمفاخرات والمنافرات التى انتشرت فى العصر الجاهلى . ولعل من أشهر هذه المحاورات ما جرى بين « الحجاج وسعيد بن جبير »(٤٣) .

---

(٤٢) الأدب فى موكب الحضارة ص ٣١٠

(٤٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٢٠٥ ـ ٢٠٦

وكان « سعيد بن جبير » قد خرج على الخليفة مع « عبد الرحمن بن محمد الاشعث » ، فلما قتل عبد الرحمن وانهزم أصحابه من دير الجماجم هرب سعيد فلحق بمكة ، وكان واليها يومئذ « خالد القسرى » فبعث بسعيد إلى الحجاج .

قال له الحجاج : ما اسمك ؟

قال : سعيد بن جبير

قال : بل أنت شقى بن كسير

قال : بل أمى كانت أعلم باسمى منك

قال : شقيت أنت وشقيت أمك

قال : الغيب يعلمه غيرك

قال : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى

قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها

قال : فما قولك فى محمد ؟

قال : نبى الرحمة وإمام الهدى

قال : فما قولك فى على ، أهو فى الجنة أو هو فى النار ؟

قال : لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها

قال : فما قولك فى الخلفاء ؟

قال : لست عليهم بوكيل

قال : فايهم أعجب إليك ؟

قال : أرضاهم لخالقهم

قال : فايهم أرضى للخالق ؟

قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم

قال : أحب أن تصدقنى

قال : إن لم أحبك لم أكذبك

قال : فمـا بالك لـم تضـحك ؟

قال : وكيف يضحك مخلوق خلق من طين ، والطين تاكله النار !!

قال : فلما بالنا نضـحك ؟

قال : لـم تسـتو القلـوب .

ثم أمر الحجاج بالؤلؤ والزبرجـد والياقـوت فجمعـه بين يديه ، فقال سـعيد : إن كنت جمعت هـذا لتتقى به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزعـة واحـدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير فى شىء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا .

ثم دعـا الحجاج بالعـود والناى ، فلما ضرب بالعود ونفخ بالناى بكى سـعيد .

فقـال : ما يبكيـك هو اللعب ؟

قال سـعيد : هو الحزن ، أما النفخ فذكرنى يوما عظيمـا ، يوم النفخ فى الصـور ، وأما العود فشـجرة قطعت فى غيـر حق ، وأمـا الأوتار فمن الشـاء تبعث معها يوم القيامة .

قال الحجاج : اختر يا سـعيد أى قتلة أقتلك ؟

قال : اختر لنفسـك يا حجاج ، فوالله لا تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخـرة .

قال : أفتريد أن أعفـو عنك ؟

قال : إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عـذر .

قال الحجاج : اذهبـوا به فاقتلوه .

فلما خرج ضحك . فأخبر الحجاج بذلك فرده ، وقال : ما أضحكك ؟

قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك .

فأمر بالنطع وقال : اقتلـوه .

فقال سعيد : وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين .

قال : وجهوه لغير القبلة .

قال سعيد : فاينما تولوا فتم وجه الله .

قال : كبوه لوجه .

قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .

قال الحجاج : اذبحوه .

قال سعيد : أما إنى أشهد الا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، خذها منى حتى تلقانى بها يوم القيامة .

ثم دعا سعيد فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى ...

* * *

وتحاور عبد الله بن عباس - نائباً عن على بن أبى طالب - مع الخوارج هذا الحوار :

- ابن عباس : ما الذى نقمتم على أمير المؤمنين ؟

الخوارج : قد كان للمؤمنين أميرا ، فلما حكم فى دين الله خرج من الإيمان ، فليتب بعد إقراره بالكفر نعد له .

- ابن عباس : لا ينبغى لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يقر على نفسه الكفر .

الخوارج : إنه قد حكم .

- ابن عباس : إن الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد ، فقال عز وجل « **يحكم به ذوا عدل منكم** » فكيف فى إمامة قد أشكلت على المسلمين ؟

الخوارج : إنه قد حكم عليه فلم يرض .

- ابن عباس : إن الحكومة كالإمامة ، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته ، وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما .

الخوارج بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم ، فإن هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم : « **بل هم قوم خصمون** » وقال عز وجل فيهم « **وتنذر به قوما لدا** » .

* * *

**أهم خصائص الحوار بعامة (٤٤) .**

١ - الإيجاز ، مع قوة العبارة ، والمهارة فى التصوير .

٢ - قلب حجة الخصم حجة عليه .

٣ - حسن التخلص .

**ثالثا : الكتابة**

أخذت الكتابة فى العصر الأموى تنتشر شيئا ما ، وعرفوا من خلال اتصالهم بالأعاجم فكرة الكتاب وأنه صحف يضم بعضها إلى بعض فى موضوع معين .

واستغلوا معرفتهم بالكتابة فى تدوين أخبار الآباء والأجداد فى الجاهلية ، ومن ثم كثر بينهم النسابون وأصحاب الأخبار .

وانتشر التدوين بصورة خاصة فى الكوفة مما أتاح الفرصة لمثل حماد الرواية وغيره أن يحملوا مادة غزيرة من الشعر الجاهلى وما يتصل بأيام العرب .. الخ .

واهتم القوم بتدوين رسائلهم السياسية والوعظية والشخصية ..

وقد زخرت كتب الأدب بكتابات ورسائل الأحزاب المختلفة التى ذكرناها ، فمن ذلك ما كتبه الحجاج إلى قطرى بن الفجاءة :

---

(٤٤) راجع للاستزادة / أدب السياسة ص ٣٨٥ وما بعدها .

( بسم الله الرحمن الرحيم . من الحجاج بن يوسف إلى قطرى بن الفجاءة . سلام عليك ، الموحد الله ، والمصلى عليه محمد عليه السلام .

أما بعد ، فإنك كنت اعرابيا بدويا ، تستطعم الكسرة ، وتخف إلى التمرة ، ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق ، واعترضت على كتاب الله ، ومرقت من سنة رسول الله - ﷺ - فالمرجع عما انت عليه بما زين لك ، وادعنى ، فقد آن لك ) .

فرد عليه قطرى بقوله :

( بسم الله الرحمن الرحيم . من قطرى بن الفجاءة إلى الحجاج ابن يوسف ، سلام على من اتبع الهدى . ذكرت فى كتابك أنى كنت بدويا أستطعم الكسرة ، وأبدر(٤٥) إلى التمرة ، والله لقد قلت زورا ، بل الله بصرنى من دينه ما اعماك عنه ، إذ أنت سائح فى الضلالة ، غرق فى غمرات الكفر .

وذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برز لى من حزبك من نال الشبع واتكأ فاتدع(٤٦) .

أما والله لئن أبرز الله لى صفحتك ، وأظهر لى صلعتك(٤٧) ، لتنكرن شبعك ، واتعلمن أن مقارعة الأبطال ليس كتسطير الأمثال ) .

وكان الخلفاء قبل عبد الملك بن مروان يستكتبون غير العرب على ديوان الخراج ، حتى جاء عبد الملك فعرب الكتابة ، واصبحت الكتابة منذ ذلك الحين باللغة العربية .

---

(٤٥) أبدر : أسرع .
(٤٦) اتدع : سكن وهدأ وتنعم .
(٤٧) صلعتك : اى مكان الصلع من الرأس .

وأخذ الموالى ينافسون العرب فى الكتابة وبلغوا فى ذلك شاوا بعيدا ، حتى إن « سالما » مولى هشام بن عبد الملك هو منشىء المدرسة الأولى للكتابة الفنية العربية ، تلك التى تخرج عليها « عبد الحميد الكاتب » ..

صحيح أن هناك كتابة فنية سابقة على عبد الحميد كما أسلفنا ، إلا أنها كانت تميل إلى الإيجاز البليغ ، بعيدة عن محاولة الصنعة والتأنق .

فلما جاء « عبد الحميد الكاتب » جدد فيها تجديدا كبيرا حتى قال بعضهم :

بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد ...

ويبدو فى العبارة بعض المبالغة ، إلا إذا كان المقصود أن أول من امتهن تلك المهنة عبد الحميد ولذلك اشتهر بـ « الكاتب » .

كتب إلى أهله وهو منهزم مع مروان بن محمد :

« أما بعد فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها ، ومن عضته بنايها ذمها ساخطا عليها ، وشكاها مستزيدا لها .

وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها،ثم جمحت بنا نافرة،ورمحتنا مولية ، فملح عذبها ، وخشن لينها ، فابعدتنا عن الأوطان ، وفرقتنا عن الإخوان ، فالدار نازحة ، والطير بارحة .

وقد كتبت والآباء تزيدينا منكم بعدا ، وإليكم وجدا ، فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وأن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع إليكم بذل الإسار ، والذل شر جار . نسأل الله أن يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، أن يهب لنا ولكم ألفة

جامعة ، فى دار آمنة ، تجمع سلامة الأبدان والأديان ، فإنه رب العالمين ، وأرحم الراحمين » .

وكان تجديد عبد الحميد فى الشكل أكثر من تجديده فى الأصل . وأهم خصائص كتابته :

١ - براعته فى الصياغة ، وتأنقه فى اختيار المفردات الدالة ولذلك فهو يعد ما يكتب إعداداً متانياً ، ولا يرتجل إرتجالا .

٢ - عنى بتقسيم الجمل تقسيما متساويا ، طولا وقصرا ، وأحيانا تأتى مسجوعة .

٣ - اهتم بالخيال وبالمحسنات اللفظية من طباق ومقابلة .

٤ - أكثر من الإطناب بالترادف ، والتأكيد عن طريق التكرار والتفصيل لبعض جوانب الفكرة .. وهذا جانب من التجديد الذى جاء على يديه .

٥ - أضاف إلى المظهر العام للرسائل ألوانا جديدة ممثلة فى :

( ا ) إطالة التحميد فى مطلع الرسائل .
(ب) تنويع معانى التحميد حتى يناسب موضوع الرسالة .

(ج) هو أول من عقب بالحمد بعد البسملة فاصلا بينهما بـ ( أما بعد .. هكذا : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فالحمد لله .

( د ) تنويع فى الختام كما نوع فى المطلع (٤٨) .

---

(٤٨) راجع للأستاذة / أدب السياسة ص ٥٧٠ وما قبلها .

## رابعـا : الوصـايا

الوصايا فن قديم ، أثر منـه عن الجاهليين بعض النماذج ، وكان من أشـهر هـؤلاء الموصين : ذو الأصبع العدوانى وغيره .

وهناك كثير من الوصـايا المـأثورة عن الأمويين .

ـ منها ما أوصى به محمد الباقر عمر بن عبد العزيز قائلا :

( أوصـيك أن تتخـذ صـغير المسـلمين ولدا ، وأوسـطهم أخـا ، وكبيرهم أباً ، فارحم ولدك ، وصـل أخاك ، وبر أباك ، وإذا صـنعت معروفا فربه )(٤٦) .

وكان الخلفاء والأمراء والولاة يتخـذون مؤدبين لأبنائهم ، فكانوا يوصونهم قبل أن يدفعوا الأبناء إليهم . فمن ذلك ما أوصى به « عتبة ابن أبى سـفيان » « عبد الصـمد » مؤدب ولده :(٤٧)

( ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحك بنى إصلاحك نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما اسـتقبحت .

علمهم كتـاب الله ، ولا تكرهم عليـه فيملـوه ، ولا تتركهم منـه فيهجروه .. ثم روهـم من الشـعر أعفـه ، ومن الحـديث أشرفـه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ، فإن ازدحـام الكـلام فى السمع مضـلة للفهـم ..

وعلمهم سير الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وجنبهم محادثة النساء ، وتهددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء

---

(٤٦) أى أدمـه وحافظ عليـه .

(٤٧) البيان والتبيين ٧٣/٢ ، العقد الفريد ٢٧٢/٢

حتى يعرف الداء ولا تتكل على عذرى ، فإنى قد اتكلت على كفايتك ) .

إن الأب هنا يطلب من المعلم أن يكون قدوة لأبنائه ، فقبل أن « يقول » لهم « يفعل » ، فالسلوك هو ما ينطبع بذهن الطفل ، وإذا ما ناقض قول المعلم سلوكه فلا خير فى تعليمه . وهذا قريب من آيات القرآن الكريم .

ثم ينصحه بأن يبدأ تعليمه لهم بالقرآن الكريم ، وأن يأخذهم به شيئا فشيئا حتى لا يملوه ، وألا يبعدهم عنه كثيرا حتى لا يهجروه ، ثم يوصيه بأن يعلمهم أشعار العرب فقد حوت الكثير من تاريخهم ومعارفهم ... الخ .

وهذا أسماء بن خارجة الفزارى يوصى ابنته ليلة زفافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفى قائلا :

( يا بنية ، إن الأمهات يؤدبن البنات ، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة ، فعليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الكحل ، وإياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وكونى لزوجك أمة يكن لك عبدا ، واعلمى أنى القائل لأمك :

**( خذى العفو منى تستديمى مودتى**
**ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب**

**ولا تنقرينى نقرة الدف مرة**
**فإنك لا تدرين كيف المغيب**

**فإنى وجدت الحب فى الصدر والأذى**
**إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب )**

وهكذا رأينا الوصية مرة تأتى مسجوعة فى معظم عباراتها ، وتارة تأتى مطعمة بالشعر وهى لا تخرج عن الإطار الموروث من الجاهلية ، اللهم إلا فى المعانى التى استمدوها من القرآن والسنة ..

# الباب الثالث

## التراجـــم والنصـــوص

### ١ ـ شـاعر الحـب

### جميـل بن معمـر العـذرى

هـو :(١) جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان ... من بنى عذرة بن سـعد .

شـاعر فصيح مقـدم جامع للشـعر والرواية .. كان راوية هدبة بن الخشرم ، وكان هدبة شاعرا راوية للحطيئة ، وكان الحطيئة شاعرا راوية لزهير وابنه .. وكان كثير راوية جميل .

**شـــاعريته .**

قال الأصمعى :

كان كثير راوية جميل ، وكان يقـدمه على نفسه ويتخذه إماما ، وإذا سئل عنه قال : وهل علم الله عز وجـل ما تسمعون إلا منه .

وعن نصيب مولى عبد العزيز بن مروان قال :

قدمت المدينة فسـألت عن اعلم أهلها بالشـعر ، فقيل لى : الوليد ابن سعيد بن ابى سنان الأسلمى ، فوجدته بشعب سلـع مع عبد الرحمن ابن حسـان وعبد الرحمن بن ازهر . فإنا لجلوس إذ طلع علينـا رجل طويل بين المنكبين طوال يقـود راحلة عليها بزة حسنة .

فقال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن ازهر : يا أبا جبير ، هـذا جميل ، فادعه لعـله أن ينشدنا . فصـاح به عبد الرحمن : هيـا جميل ـ هيا جميل !

---

(١) نسـبه وأخباره فى الأغانى ( دار ) ٨/٩٠ وما بعدها . الشـعراء والشـعراء ٤٣٤

فالتفت فقال : من هـذا ؟ فقال : أنا عبد الرحمن بن أزهـر . فقال : قد علمت أنه لا يجترىء على إلا مثلك . فأتاه فقال له : أنشدنا ، فأنشـدهم :(٢)

ونحن منعنـا يوم أول نسـاءنا
ويـوم أفـى والأسـنة ترعـف(٣)
ويوم ركـايا ذى الجـذاة ووقعـة
ببنيـان كانت بعض ما قد تسلفوا(٤)
يجب الغـوانى البيض ظـل لـوائنا
إذا مـا أتانـا الصـارخ المتلهـف(٥)
نسـير أمـام النـاس والناس خلفنـا
فإن نحن أومأنـا إلى الناس وقفوا
فـأى معـد كـان فىء رمـاحـه
كمـا قـد أفانا والمفاخـر ينصـف(٦)
وكنـا إذا ما معشر أجحفـوا بنـا
ومـرت جـوارى طيرهم وتعيفـوا(٧)

---

(٢) القصـيدة فى الديوان ص ١٣٢ - ١٤٠ والأغانى ٩٣/٨

(٣) أول : واد . أفى : موضع . ترعف : تسبق وتسرع الطعن .

(٤) ركايا : جمع ركية وهى البئر ذات المـاء . بنيان : موضـع . وذو الجذاة : كذلك .

(٥) الصـارخ المتلهف : المستجير المستغيث - أى أنهم يحمون المستجير المتلهف ولذلك تحب النساء الاستجارة بهم .

(٦) الفىء : الغنيمة .

(٧) فى الأغانى ( نصبوا لنا ) بدلا من ( أجحفوا بنا ) . أجحف به : ذهب ونازع . تعيفوا : زجروا الطير للتفاؤل أو التشاؤم بها .

وضعنا لهم صاع القصاص رهينة
بما سوف توفيها إذا الناس طففوا
إذا استبق الاقوام مجدا وجدتنا
لنا مغرفا مجد وللناس مغرف

قال : ثم قال له : انشدنا هزجا . قال : وما الهزج ؟ لعله هذا القصير ؟ قال : نعم . فانشده : (٨)

رسم دار وقفت فى طللـه
كدت اقضى الغداة من جلله(٨)
موحشا ما ترى به احدا تنـ
ـسج الريح ترب معتدلـه(١٠)
وصريعا من الثمام ترى
عارمات المدب فى أسله(١١)
بين علياء وابش فبلى
فالغميم الذى إلى جبله(١٢)

---

(٨) الديوان ص ١٨٨ والاغانى ٩٤/٨

(٩) الطلل : ما شخص من آثار الديار . اقضى : أموت . الغداة : الضحوة أى ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . من جلله : من عظمه فى عينى أو من أجله .

(١٠) معتدله : ما استوى منه .

(١١) الثمام : نبت ضعيف له خوص . العارمات : القوية الشديدة . المدب : مجرى السيل . الأسل : شجر ، أو كل شىء طويل .

(١٢) وابش : واد أو جبل . بلى : تل . الغميم : موضع .

واقفـــاً فـــى ديـــار أم جســـير
حـــين يـدنو الضجيـــع من غللـــه(١٣)
روضـــة ذات حنـــوة وخـــزامى
جـــاد فيهـا الربيـع من ســـبله(١٤)
بينمـا هـــن بـالاراك معـــاً
إذ بـــدا راكـــب علـى جملـــه(١٥)
فتاطـــرن ثـــم قلـــن لهـــا :
أكرميـــه حييـــت فى نزلـــه(١٦)
فظللنـــا بنعمـــــة واتكـــــانا
وشربنـــا الحـــلال مـن قللـــه(١٧)
قد اصـون الحـديث دون خليـــل
لا اخـــاف الاذاة مـن قبلـــه
غـير مـا بغضـــة ولا لاجتنـــاب
غـــير انـى الحـــت مـن وجـــله(١٨)

---

(١٣) أم جسير : أخت بثينة . الأصل : جمع أصيل وهو الوقت بعد العصر .
(١٤) الحنوة : نبت طيب الريح . السبل : المطر .
(١٥) الاراك : موضع ، أو هو الشجر الذى تتخذ منه المساويك .
(١٦) تاطرن : ملن نحوه . النزل : طعام النزيل الذى يهيأ له .
(١٧) اتكانا : أى طعمنا ، قال ابن قتيبية : كما فى قوله تعالى ( واعتدت لهن متكا ) أى طعاما . القلل : جمع قلة وهى إناء للعرب كالجرة .
(١٨) الحت : خفت وحاذرت . الوجل : الخوف .

وخليـــل صـــافيت مرتضـــيا
وخليـــل فارقـــت مـــن مللـــه

قال : فانشـده إياها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلته مولياً . فقال ابن الأزهـر :

هـذا أشـعر أهل الإسـلام .

فقـال ابن حسـان :

نعم والله وأشـعر أهل الجاهلية ، والله ما لأحـد منهم مثل هجائه ولا نسـيبه .

فقال عبد الرحمن بن الأزهر :

صـدقت .(١٩)

وقال محمد بن سـلام :(٢٠)

كان لكثيـر في النسيب حظ وافـر ، وجميـل مقـدم عليـه وعلى أصـحاب النسـيب في النسـيب ، وكان كثير راوية جميل ، وكان جميل صـادق الصبابة والعشق ، ولم يكن كثير بعاشـق ، ولكنه كان يتقـول ، وكان الناس يستحسنون بيت كثير في النسيب :

أريـد لأنسى ذكـرها فكأنمـا
تمثـل لي ليلى بكـل سـبيل

قال : ورأيت من يفضل عليه بيت جميل :

خليلي فيمـا عشـتما هـل رأيتمـا
قتيـلا بكى من حب قاتلـه قبلي

---

(١٩) الأغـاني ٨/٩٥
(٢٠) نفسـه .

قال ابن سلام :

وهذا البيت الذى لكثير أخذه من جميل حيث يقول :

**أريد لأنسى ذكرها فكأنما**
**تمثل لى ليلى على كل مرقب**

ولقى الفرزدق كثيرا بقارعة البلاط ، فقال له الفرزدق :
يا أبا صخر ، أنت أنسب العرب حين تقول :

**أريد لأنسى ذكرها فكأنما**
**تمثل لى ليلى بكل سبيل**

يعرض له بسرقته من جميل ، فقال له كثير : وأنت يا أبا فراس أفخر الناس حين تقول :

**ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا**
**وإن نحن أو مانا إلى الناس وقفوا**

قال عبد العزيز - أحد رواة هذا الخبر - : وهذا البيت أيضا لجميل سرقه الفرزدق .

وسأل نصيب كثيرا : أأنت أنسب أم جميل ؟ فقال : وهل وطأ لنا النسيب إلا جميل !!

**رأى مخالف :**

وإذا كان هناك شبه إجماع على أن جميلا أشعر أهل النسيب وهو إمامهم ، وقد وطأ لهم القول فيه - باعتراف أهل النسيب أنفسهم إلا أن الدكتور ( زكى مبارك ) خرج عن هذا الإجماع ، لكنه عذر النقاد أو لا فقال :(٢١)

---

(٢١) فى كتابه « العشاق الثلاثة » سلسلة « اقرأ » ٢٦ ص ٧٥ وما بعدها .

**اعـذار للنقـاد**

للنقاد القدماء اعذار فى الافتتان بقصائد جميـل فى النسيب ، فقـد أوفت على الغاية فى براعـة التعبير ، ورشـاقة البيان ، وكـان الناس يرونها وهم يتمثلون روح جميل، وكان روحه من الطف الأرواح، وكيف لا يفتن معاصريه من يقـول : (٢٢)

**لقـد فرح الواشـون أن صرمـت حبلى**
**بثينـة او ابدت لنـا جانب البخل**
**يقولـون : مهـلا يا جميـل ، وإننى**
**لاقسـم مالى عن بثينـة من مهـل**
**احلمـا ! فقبـل اليـوم كان اوانه**
**ام اخشى فقبـل اليوم أو عدت بالقتل**
**إذا مـا تراجعنـا الـذى بيننـا**
**جـرى الدمع من عينى بثينة بالكحـل**
**كـلانا بكى او كـاد يبكى صـبابة**
**إلى إلفـه واستعجات عبرة قبلى**

الـخ ..

ويسـوق الدكتور زكى مبارك عددا من نمـاذج النسـيب الرائعـة ثم يقـول(٢٣) :

١ ـ والمهم أن نقـول بعبارة صريحة إن تقـديم النقاد جميلا على كثير لا يرجع إلى أن جميلا اشـعر من كثير فى النسـيب ، وإنما يرجع إلى أمور كثيرة تتكـون منها ذاتية جميـل :

---

(٢٢) السابق ، والقصيدة فى الديوان ص ١٧٤ وما بعدهـا .
(٢٣) نفسـه ص ٢٨

فقد كان يجمع بين الجمال والفتوة ، والشعر ، والعشق - وكان مكتملا فى كل هذه النواحى ، فجماله رائع ، وفتونه باهرة ، وشعره رائق ، وعشقه صادق ، ومن كان كذلك فهو خليق بأن يحتل من نفوس معاصريه أشرف مكان .

وفى مقابل هذه الذاتية العظيمة تجىء تلك الشخصية الهزيلة ، وهى شخصية (كثير) القزم النحيف ، (كثير) المزدرى لدمامته وقصره وحمقه وغلوه فى التشيع غلوا يقترب من السخف .

ومن كان كذلك فكيف يجد من يحكم له بالتقدم على جميل ؟

٢ - وعن رأى كثير فى جميل وتقديمه له على نفسه يقول الدكتور زكى مبارك :(٢٤)

لو تبين كثير بحرف يؤكد أنه أشعر من جميل لرجمه الناس بالحجارة ، أو حثوا فى وجه التراب .

٣ - ويرى الدكتور زكى مبارك أن آراء الشعراء فى جميل ما هى إلا مجاملة ترجع فى بعض أسبابها إلى أدب جميل فى مخاطبة الشعراء(٢٥) ويسوق مواقف كأمثلة لهذه المجاملات .

٤ - وينتهى الدكتور زكى مبارك إلى قوله :

أقول بدون تردد : إن كثيرا فاق أنداده فى الغزل والنسيب ، ولولا تلك الحالات التى غضت من مكانته فى أعين الناس لاعترف له معاصروه بالإمامة فى التشبيب ، ويكفيه مجداً أنه برغم تلك الحالات وجد من يوازن بينه وبين جميل ، وهل يصل إلى هذه المنزلة من يكون فى مثل حاله إلا بقوة روحية تخلب الألباب والعقول ؟

---

(٢٤) نفسه .

(٢٥) نفسه ٧٩

٥ - ويقـول الدكتور مبارك بعد ذلك :

إن الادباء الامويين قدموا جميلا عليه ، وليس فى ذلك معـاب ، فقـد كان جميل ريحانة ذلك الزمان ..

فهل قدموا عليه عمر بن ابى ربيعـة وكان فتنة الفتن فى مغـازلة النســـاء ؟

هل قدموا عليه ( الاحوص ) ؟ هل فكروا فى الموازنة بين جرير والفرزدق والاخطل فى النسيب ؟

ذلك شـاعر فاتته نضـارة الجسـم ولم تفته نضارة الروح .

* * *

**تعليـق ونقـــد .**

حينما تقرأ كلام الدكتور زكى مبارك تشـعر انه يأسى للظلـم الذى وقع على (كثير) ، ويرى انه أجدر بالتقديم وأحـرى بان يكون نسيج وحـده فى النسـيب ، وانه لولا دمامته وحقـارته - فى مقابل وسـامة جميل وحسـن خلقته - ما قـدم جميل عليـه ..

كما انه كان شيعيـا فكان على الشعـراء الامـويين أن يناهضوه ويقفوا فى وجهـه .

كما يرى الدكتور أن آراء الشعراء فى جميل ما هى إلا مجاملة .

وهـذا كلام أطلقه الدكتور زكى مبارك على عواهنه ، فلـم يأت مثلا بقصـائد للشـاعرين ويعقد موازنة بينهما ليقفنا على حقيقة هـذا الظلـم الواقع على كثير .

والدكتور زكى نفسه يقـر بتقـديم جميل على كثير حين يقـول عن تقديم الادباء وتفضيلهم جميلا على كثير :

وليس فى ذلك معـاب ، فقـد كان جميل ريحانة ذلك الزمان .

ثم كيف يرمى الدكتـور مبـارك بكلام ( كثـير ) ففيه وشهادته

عرض الحائط والرجل أقر بأستاذية جميل ، وبأنه إمام النسيب ، وهو الذى وطأ القول لمن بعده بمن فيهم كثير !! .

ولم يطلعنا الدكتور على مواطن فى شعر جميل لا تستحق الثناء ، وجامله الشعراء فأثنوا عليها دونما استحقاق .

وأما عدم تقديم غيره من الشعراء عليه فليس ذلك لعيب فى أشعارهم وإنما لكل فنه الذى يجيده .

فابن أبى ربيعة إمام الغزل الحسى بلا ريب فلا يتأتى أن نعقد موازنة بينه وبين شاعر عرى كجميل أو كثير أو غيرهما .

وكذلك بقية الشعراء الذين ذكرهم .

وخلاصة القول :

أن جميلا أشعر النسابين ، وإمامهم ، باجماع النقاد القدماء والمحدثين .

**بدء حبه لبثينة .**

ذكروا فى ذلك خبرين .

١ ـ قالوا : إنه كان يحب أختها « أم الجسير » وكان أول ما علق بثينة :(٢٦)

أنه أقبل يوما بإبله حتى أوردها واديا يسمى بغيض ، فاضطجع وأرسل إبله مصعدة ، وأهل بثينة بآخر الوادى ، فأقبلت بثينة وجارة لها تريدان الماء ، فمرتا على فصال له بروك فنفرتهن بثينة ، وهى إذ ذاك جويرية صغيرة ، فسبها جميل فسبته ، فملح إليه سبابها ، وأحبها ، وأقلع عن النسيب بأختها . وقال فى ذلك :

---

(٢٦) الأغانى ٨/٩٨

واول مـا قـاد المـودة بيننـا
بـوادى بغيض يا بثـين سـباب

وقلت لهـا قـولا فجـاءت بمثـله
لكـل كـلام يا بثـين جـواب

٢ ـ وقيل :(٢٧) إن جميل بن معمر خرج فى يوم عيد والنساء إذ ذاك يتزين ، ويبدو بعضهن لبعض ويبدون للرجال ، وأن جميلا وقف على بثينة واختها وام الجسير فى نساء من بنى الاحب وهن بنات عم عبيد الله بن قطبة اخى ابيه لحا ، فراى منهن منظرا واعجبنه، وعشق بثينة ، وقعد معهن ، ثم راح وقد كان معه فتيان من بنى الأحب فعلم ان القوم قد عرفوا فى نظره حب بثينة ووجدوا عليه فراح وهو يقول :

عجل الفراق وليته لم يعجل
وجرت بوادر دمعك المتهلل

طربا وشاقك ما لقيت ولم تخف
بين الحبيب غداة برقة مجول

وعرفت انك حين رحت ولم يكن
بعد اليقين وليس ذاك بمشكل

لن تستطيع إلى بثينة رجعة
بعد التفرق دون عام مقبل

ولما اخبرت بثينة ان جميلا قد نسب بها حلفت بالله لا ياتيها على خلاء إلا خرجت إليه ولا تتوارى منه ، فكان ياتيها عند غفلات الرجال،

---

(٢٧) نفسه ٨/٩٩ ، والديوان ص ١٧٠

فيتحدث إليها ومع أخواتها ، حتى نمى إلى رجالها أنه يتحدث إليها إذا خلا منهم ، وكانوا أصلافاً غيراً ، فرصدوه بجماعة نحو من بضعة عشر رجلا ، وجاء على الصهباء ناقته حتى وقف على بثينة وأم الجسير وهما يحدثانه وهو ينشدهما يومئذ (٢٨) :

حلفت برب الراقصات إلى منى
هوى القطا يجتزن بطن دفين
لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقيا
سليمى ولا أم الجسير لحين
فليت رجالا فيك قد نذروا دمى
وهموا بقتلى يا بثين لقوني

فبينا هو على تلك الحال إذ وثبت عليه القوم فرماهم بها فسبقت به وهو يقول :

إذا جمع الإثنان جمعاً رميتهم
باركانها حتى تخلى سبيلها (٢٩)

* * *

عشق جميل بثينة وهو غلام صغير حتى إذا ما شبت عن الطوق خطبها فرفض ، فهام بها ، وكان يلقاها سرا .

وفى أحد لقاءاته بها سعت أمة لبثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما : إن جميلا عندها الليلة ، فاتياها مشتملين على سيفين ،

---

(٢٨) هكذا فى الأغانى وهى من قصيدة فى الديوان ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ والبيت الثالث جاء مقدما على البيتين الأولين . وبينهما أربع أبيات .

(٢٩) الأغانى ٨/٩٩ ، والديوان ص ١٧٠

فرآياه جالسا حجرة منها يحدثها ويشكو إليها بثه ، ثم قال لها : يا بثينة ، أرأيت ودى إياك وشغفى بك الا تجزينيه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابين . فقالت له : يا جميل ، أهذا تبغى ! والله لقد كنت عندى بعيدا منه ، ولئن عاودت تعريضا بريبة لا رأيت وجهى أبدا .

فضحك وقال : والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه ، ولو علمت انك تجيبينى إليه لعلمت أنك تجيبين غيرى ، ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفى هذا ما استمسك فى يدى ، ولو اطاعتنى نفسى لهجرتك هجرة الأبد ، أو ما سمعت قولى :

**وإنى لأرضى من بثينة بالذى**
**لو ابعده الواشى لقصرت بلابله**

**بلا وبأن لا استطيع وبالمنى**
**وبالأمل المرجو قد خاب آمله**

**وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى**
**أواخره لا تلتقى وأوائله**

فقال ابوها لاخيها : قم بنا ، فما ينبغى لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها ، فانصرف وتركاها .

هكذا ذكر الاصفهانى ، وفيها نظر ، فاين غيرة العربى القريب العهد بالجاهلية ، أو ليسوا أحقادا لمن كانوا يئدون البنات خشية من السبى ، بل إن بعضهم كان يقتل ابنته غيرة عليها من أن تتزوج ويخلو بها الزوج !!! وإذا كانوا قد تغيرت طباعهم شيئا ما فليس إلى هذا الحد ..

## نص الجميـــل

عــاودت من جمــل قــديم صبــابتى
وأخفيت من وجدى الذى كان خافيــا
ورد الهوى اثنــان حتى استفــزنى
من الحب معطوف الهــوى من بلاديا (٣٠)
أتعـــــذر لا بــل لا محـــــالة انــه
مــلوم إذا ذو الشيــب رام التصـــابيا
حبيب دعــا عن طــول ليــل حبيبــه
صبــا صبــوة لمــا أطــال التقـــائيا
إذا قلت : أنســـاها ، تردد حبهـــا
كذى الدين يقضى مغــرما كان كاليــا (٣١)
أقــول لــداعى الحب والحجــر بيننا
ووادى القــرى : لبيــك ، لمــا دعانيا
فلم تنكــر الــداعى ولــكن حبهـــا
أصيــل ويبــلى كالذى كنت باليـــا
فمــا أحــدث النــاى المفــرق بيننــا
سلوا ، ولا طــول اجتمـــاع تقاليــا
كــأن لم يكن ناى إذا كــان بعـــده
تــلاق ، ولكن لا إخـــال تــلاقيــا
خليـــلى إن لم تبكيــا لى التمــس
خليـــلا إذا انزفت دمعـــا بكى ليــا

---

(٣٠) اثنــان : موضــع .
(٣١) المغــرم : الغــرامة . الكالى : المتأخر .

وقـال خليـلى : إن تيمـاء موعـد
لـ (بثن) إذا ما الصيف القى المراسيا

فوذى شهـور الصيف عنا قد انقضت
فمـا للنـوى ترمى بليـلى المـراميا

الم تـك إذ اهـلى واهلـك جـيرة
تخبـرنى إن بنت الا تـلاقيـا

ذرى رد قـول مضى كنت قلتـه
ولقـت به او ضـلة من ضـلاليا

١٥ ـ وانت التى إن شئت كدرت عيشـتى
وإن شئت ـ بعد الله ـ انعمـت باليـا

وانت التى ما من صـديق ولا عـدى
يرى نضـوما ابقيـت إلا رثى ليـا (٣٢)

فإنـك لو تجلـين نحـو تهـامة
او الركن من حـوران اصبحت جاليا

وقد خفت ان يغترنى المـوت بغتـة
وفى النفس حاجت إليـك كمـا هيـا

وإنى لتثنينى الحفيظـة كلمـا
لقيتـك يومـا ان ابثـك مـا بيـا

٢٠ ـ الم تعلمـى يا عـذبة المـاء اننى
اظـل إذا لم اسـق مـاءك صـاديا

ذكـرتك بالديرين يومـا فاشـرفت
بنـات الهـوى حتى بلغـن التراقيـا

---

(٣٢) النضـو : المهـزول .

وما زلـت بى يا بثـن حتى لو اننى
من الوجـد أستبكى الحمـام بكى ليا
إذا خدرت رجلى ، وقيـل شفـاؤها
دعـاء حبيـب ، كنت انت دعـائيا
وددت على حبى الحيـاة لو انهـا
يزاد لهـا فى عمـرها من حيـاتيا
٢٥ - فاقسمت لا الحـو محبـا ولا ارى
لـه لاحيـا إلا دعـوت الجـوازيا
وإلا اعتـرتنى عبـرة بعـد فـترة
وإلا تداعى الحـب مـنى تداعيـا
فلا تسمعـوا قـولا لهم إن تظاهـروا
عـلى بـلوم أنت سـديته ليـا
فمـا زادنى الواشـون إلا صبـابة
ولا زادنى النـاهـون إلا تمـاديـا
إذا علمـت وجـدى بهـا وصبـابتى
فـإن المنـايا قاصـدات وشـاتيا (٣٣)

حـول ابيـات من القصيدة :

١ - روى أبو الفـرج الاصبهانى عن ابى عبيدة عن أبيه قال(٣٤) : دخل علينـا كثير يوما وقد اخذ بطـرف ربطته والقى طرفهـا الآخـر وهو يقول : هو والله اشعر الناس حيث يقول :

خبـر تمـانى أن تيمـاء منـزل
لليـلى إذا ما الصيف القى المراسيـا

(٣٣) القصيدة فى الديوان : ص ٢٢١ - ٢٢٤ .
(٣٤) الاغـانى ١٢٥/٨ .

فهـذى شهور الصيف عنى قد انقضت
فما للنـــوى ترمى بليـلى المراميـــا

ويجـر ريطته حتى يبلـغ إلينـا ، ثم يولى عنا ويجرها ويقول : هو والله اشعر النـاس حيث يقول :

وانت التى إن شئت كـدرت عيـشتى
وإن شئت بعـد الله انعمـت باليـــا
وانت التى ما من صـديق ولا عـــدا
يرى نضـــوما ابقيت إلا رثى ليـــا

ثم يرجـع إلينـا ويقول : هو والله اشعر الناس . فقلنا : من تعنى يا ابا صخـر ؟ فقال :

ومن اعنى ســوى جميل ! هو والله اشعر الناس حيث يقول هذا !

٢ - عن الرحال بن سعد المـازنى قال(٣٥) :

وقـع بين جميل وبثينة هجر فى غيرة كان غارها عليهـا من فتى كان يتحدث إليهـا من بنى عمها ، فكان جميـل يتحدث إلى غيرها ، فيشق ذلك على بثينـة وعلى جميـل ، وجعـل كل واحد منهما يكـره ان يبدى لصاحبه شـانه ، فدخـل جميـل يوما وقد غلبـه الأمـر إلى البيت الذى كان يجتمـع فيـه مع بثينـة . فلمـا رأته بثينـة جاءت إلى البيت ولم تبرز له ، فجـزع لذلك جميـل ، وجعـل كل واحد منهما يطـالع صاحبه ، وقد بلـغ الأمـر من جميـل كل مبلغ فانشا يقول :

لقد خفت ان يغتـالنى المـوت عنـوة
وفى النفس حاجات إليـك كما هيـا

(٣٥) الاغـانى ١٥١/٨ ، ١٥٢ .

وإنى لتثنينى الحفيظـــة كلمـــا
لقيتـك يومـــا ان ابشـــك مـا بيـا
الم تعلمـى يا عـــذبة الـريق اننى
اظـل إذا لم اسـق ريقـــك صـــاديا

قال : فرقت له بثينة ، وقالت لمولاة لها كانت معهـا : ما احسن الصدق باهله ! ثم اصطلحا ، فقالت له بثينة : انشدنى قولك :

تظـل وراء الســـتر ترنـو بلحظها
إذا مـر من اترابهـــا مـن يروقهـــا

فانشدها إياها ، فبكت وقالت : كلا يا جميـل ! ومن ترى انـه يروقنى غيرك ! .

## مميزات شعـر جميـل

من اهم ما يميز شعـر جميـل :

١ ـ غلبة المعانى الفطرية على شعره : ( فهو فى بعض تصوراته طفـل ، ولكنه يصدق صدق الاطفال ـ اليس هو الذى يقول :

الا ليت شعـرى هـل ابيتن ليلـــة
بوادى القـــرى ؟ إنى إذا لسعيـدا !
وهـل القـــين فـردا بثينـة مـــرة
تجـود لنـا مـن ودهـا وتجـــود ؟
علقت الهـوى منهـا وليـدا فلم يزل
إلى اليـــوم ينمـى حبهـــا ويزيد
وافنيت عمـرى بانتظـارى وعـــدها
وابليت فيهـا الدهـــر وهو جـــديد
فـلا انا مـردود بما جئت طالبـــا
ولا حبهـــا فيمـــا يبيـد يبيـــد

يقول الدكتور زكى مبـارك (٣٦) :

هـذا كلام اطفـال فى نظـر من يرون الشعـر صناعة تؤرق فى تجريدها الجفـون ومع ذلك فقد بلغ الشـاعر الغـاية فى الاستجـابة للفطـرة والطبع .

فالبيت الأول والبيت الثـانى من الأعاجيب فى تمثيـل الحسرة على الأمل المفقود ، وقد أدى الشاعر المعنى فى صدق منزه عن التزويق والتهـويل .

أما قوله : ( ولا حبها فيما يبيد يبيد ) فهو صـرخة الشاعر الذى لا يملك الفـرار من لوعته العـاتية ، لأن المقـادير نزهتها عن الفناء .

٢ - توافر التنغيم الموسيقى فى شعـره :

ومما يدل على ذلك انه غنى من شعره تسعـة وعشرون صـوتا - فشعره الحـان عذبة تقوم على قواعد من السجع والرنين ، وحياة جميل كانت تسـاعد على التجـويد فى الغنـاء ، فقـد قضى دهـــره وهـو مشغول بعواطف رقيقـة ترهف الحس والذوق ، وتفطـر النفس على حب الترنم والتغـريد ، ومن هنا غلبت الموسيقى على شعره؟٣٧) ..

٣ - حـرارة العاطفـة وصدقها :

لقد كان جميـل صادق الصبابة والعشـق وشعره يشهد بذلك فهو القـائل (٣٨) :

---

(٣٦) العشـاق الثلاثة : ص ٤٢ ، ٤٣ .
(٣٧) راجع : العشاق الثلاثة : ٣٩ ، ومقدمة ديوان جميل : ص ١٧ .
(٣٨) الديوان : ص ٣٤ .

أريد لأنسى ذكـــــرها فكأنمـــــا
تمثـــل لى ليـــلى على كل مـرقب

وهو القـائل :

وإنى لأرضى مـن بثينـــة بالـذى
لـو ابصـره الـواشى لقـرت بلابـله
بـلا وبان لا استطيـــع وبالمـــنى
وبالأمـــل المـرجـــو قد خاب آمـله
وبالنظرة العجـلى وبالحـول تنقضى
أواخـــره لا نلتـقى وأوائـــــله

وهو القـائل(٤٠) :

أصـلى فابكى فى الصـلاة لذكـــرها
لى الويـــل ممـا يكتـب الملـــكان

* * *

٣٩٢) نفسـه : ص ١٦٩ .
(٤٠) نفسـه : ص ٢٠٣ .

## ٢ - شاعر أهل الشام
## عدى بن الرقاع العاملى

**تعريف بالشاعر :**

هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع ... ينتهى نسبه الى قبيلة عاملة وكنيته : أبو داود .. كان ينزل الشام ولذا يقال له « شاعر أهل الشام » ..

وتضن كتب التراجم بذكر كثير عن حياته .. وذكر ابن قتيبة(١) انه كانت له بنت تقول الشعر ، إذ جاءه أناس يوما ليعارضوه، وكان غائبا عن منزله ، فسمعت بنته ، - وهى صغيرة لم تدرك - بعض وعيدهم ، فخرجت اليهم تقول :

**تجمعتم من كل أدب وبلدة**
**على واحد ، لا زلتم قرن واحد !**

فافحمتهم .

وقد جالس عدى كبار شعراء العصر الأموى : جرير ، والفرزدق والأخطل ، وكثير عزة ، والراعى النميرى ..

وتهاجى مع جرير .. ذكر الأصفهانى : أن جريراً دخل على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عدى بن الرقاع العاملى فقال هذا عدى بن الرقاع . فقال جرير : فشر الثياب الرقاع ، قال : ممن هو ؟ قال : العاملى . فقال جرير : هى التى يقول فيها الله عز وجل ( عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية ) .. ثم قال :

---

(١) الشعر والشعراء ٦١٨ ، والأغانى ٣١٠/٩ ...

**يقصر بـاع العاملى عـن النـدى**
**ولكـــن ٠٠٠٠ العاملى طـويل**

فقـال له عـدى بن الرقاع :

**امـك كانت اخبرتـك بطولـــه**
**ام انت امرؤ لم تدر كيف تقول ؟**

فقال لا : بل ادرى كيف اقـول ٠

فوثب العاملى إلى رجل الوليد فقبلها وقال : اجرنى منه ٠

فقال الوليد لجرير : لئن شتمته لاسرجنك ولالجمنك حتى يركبك قيعيرك الشعراء بذلك ٠ فكنى جرير عن اسمه فقال :

**إنى إذا الشـاعر المغـرور حربنى**
**جـار لقبـر على مـران مرمـوس(٢)**

إلـــخ(٣) ٠

**عـدى وكثيـر عزة :**

حكى الاصفهانى(٤) : إن كثير عـزة كان فى حضرة الوليد بن عبد الملك ، وكان يبلغـه ان عديا يطعن على شـعره ويقـول : هـذا شعر حجازى مغرور إذا اصابه قر الشـام جمد وهلك ٠

وكان عـدى قد اخـذ فى إنشـاء قصـيدته ـ التى ذكرناهـا ـ : عـرف الديار توهما فاعتادها ٠ حتى اتى على قوله :

**وقصـيدة قد بت اجمـع بينهـــا**
**حتى اقـــوم ميلهـــا وســـنادها**

---

(٢) يريد قبر تميم بن مربمران ٠ حربنى : اغضبنى ٠
(٣) راجع / الاغانى ٣٠٧/٩ ، ٣٠٨
(٤) الاغانى ٣١٦/٩

فقال له كثير : لو كنت مطبوعا ، أو فصيحا ، أو عالما لم تأت فيها بقيل ولا سناد فتحتاج إلى أن تقومها . ثم أنشد :

نظر المثقف فى كعوب قناته
حتى يقيم ثقافه منآدها

فقال له كثير : لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ، ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها . ثم أنشد :

وعلمت حتى ما أسائل واحدا
عن علم واحدة لكى أزدادها

فقال كثير : كذبت ورب البيت الحرام ! فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك . وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك . فضحك الوليد ومن حضر وقطع بعدى بن الرقاع حتى ما نطق .

**عدى والراعى :**

حاول الراعى أن يظهر أنه لا يبالى بعدى ، ولا يقيم له وزنا فى قوله :

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم
يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

أجابه عدى :

حدثت أن رويعى الإبل يشتمنى
والله يصرف أقواما عن الرشد

فانت والشعر ذو تزجى قوافيه
يكتفي الصيد فى عريسة الأسد

**شعره وآراء النقاد فيه :**

- قال ابن قتيبة(٥) : « وكان شاعرا محسنا ، وهو أحسن من وصفا ظبية وصفا » فقال :

**كالظبية البكر الفريدة ترتعى**
**من أرضها قفراتها وعهادها**
**خضبت لها عقه البراق جبينها**
**من عركها علجانها وعرادها**
**كالزين فى وجه العروس تبدلت**
**بعد الحياء فلاعبت أرادها**
**تزجى أغن كأن إبرة روقه**
**قلم أصاب من الدواة مدادها**

- وقال عنه الأصفهانى(٦) :

ينفرد عدى بن الرقاع بوصف المطية ويقدم فيه .

- وكان أبو عبيدة يستحسن بيته :

**وسنان أقصده النعاس فرنقت**
**فى عينه سنة وليس بنائم**

ويقول : ما قال أحد فى مثل هذا المعنى أحسن منه فى هذا الشعر(٧) .

- وسئل جرير : من أنسب الشعراء ؟ قال : ابن الرقاع فى قوله :

---

(٥) الشعر والشعراء ٦/٨
(٦) الأغانى ٩/٣١٠
(٧) نفسه .

**لولا الحيـاء وأن رأسى قد عسا**
**فيـه المشـيب لزرت أم القاسـم**

.. الأبيات . ثم قال : ما كان يبالى أن لم يقل بعدها شيئا(٨) .

وقد استشهد أصحاب المعاجم وكتبه البلاغة والأمالى بشعر عدى ، وقد استشهد ياقوت لعـدى وحـده باكثر من مائة وعشرة أبيات .

وكانت له الحظوة عند الوليـد بن عبد الملك ، ومعظم شـعر عـدى مقصـور عليـه ..

**عـدى وبنـو أميـة .**

كان عـدى مقدما عند بنى أميـة ، مداحا لهم ، خاصـا بالوليد بن عبد الملك ، وقال فيـه قصـائد طويلة .

* * *

(٨) الأغانى ٣١٣/٩

عـدى بن الرقاع العاملى يمدح الوليـد بن عبد الملك (١) ٠

١ ـ عرف الـديار توهمـا فاعتادهـا
من بعـد ما شـمل البلى ابلادهـا
٢ ـ إلا رواسى كلهـن قـد اصـطلى
حمـراء اشـعل اهلهـا إيقادهـا
٣ ـ كانت رواحـل للقـدور فعـريت
منهـن واسـتلب الزمـان رمادهـا
٤ ـ بشـبيكة الحـور التى ضربيهـا
فقـدت رسـوم حياضـه ورادهـا
٥ ـ وتنكـرت كـل التنكـر بعـدنا
والأرض تعـرف تلعـها وجمادهـا
٦ ـ ولرب واضـحة الجبـين خريـدة
بيضـاء قد ضربت بهـا اوتادهـا
٧ ـ تصطاد بهجتهـا المعلل بالصـبا
عرضـاً فتقصـده ولن يصـطادها
٨ ـ كالظبيـة البكـر الفـريدة ترتعى
من ارضـها قفـراتها وعبـادها
٩ ـ خضبت لهـا عقـد البـراق جبينها
مـن عركهـا علجانهـا وعـرادها
١٠ ـ كالزين فى وجه العـروس تبذلت
بعـد الحيـاء فـلاعبت ارادهـا
١١ ـ تزجى اغن كـان إبـرة روقـه
قلـم اصاب من الدواة مـدادهـا

١٢ - ركبت به من عالج متحيرا
قفرا تربب وحشه اولادها

١٣ - بمجر مرتجز الرواعد بعجت
غر السحاب به الثقال مزادها

١٤ - فترى محانيه التى تسق الثرى
والهبر يونق نبتها روادها

١٥ - بانت سعاد واخلفت ميعادها
وتباعدت منا لتمنع زادها

١٦ - إنى إذا ما لم تصلنى خلتى
وتباعدت عنى اغتفرت بعادها

١٧ - واذا القرينة لم تزل فى نجدة
من ضغنها سئم القرين قيادها

١٨ - إما ترى شيبى تفشع لمتى
حتى علا وضح يلوح سوادها

١٩ - فلقد ثنيت يد الفتاة وسادة
لى جاعلا يسرى يدى وسادها

٢٠ - واصاحب الجيش العرمرم فارسا
فى الخيل اشهد كرها وطرادها

٢١ - وقصيدة قد بت اجمع بينها
حتى اقوم ميلها وسنادها

٢٢ - نظر المثقف فى كعوب قناته
حتى يقيم ثقافه منادها

٢٣ - ولقد اصبت من المعيشة لذة
ولقيت من شظف الخطوب شدادها

٢٤ - فسترت عيب معيشتى بتكرم
واتيت فى سعة النعيم سدادها

٢٥ - وبقيت حتى ما أسائل عالما
عن علم واحدة لكى ازدادها

٢٦ - صلى الإله على امرىء ودعته
وانم نعمته عليه وزادها

٢٧ - وإذا الربيع تتابعت انواؤه
فسقى خناصرة الاحص فجادها

٢٨ - نزل الوليد بها فكان لاهلها
غيثا اغاث انيسها وبلادها

٢٩ - أولا ترى ان البرية كلها
القت خزائمها إليه فقادها

٣٠ - ولقد اراد الله إذ ولاكها
من امة إصلاحها ورشادها

٣١ - وعمرت ارض المسلمين فاقبلت
ونفيت عنها من يريد فسادها

٣٢ - وأصبت فى ارض العدو مصيبة
بلغت اقاصى غورها ونجادها

٣٣ - نصراً وظفراً ما تناول مثله
أحد من الخلفاء كان ارادها

٣٤ - وإذا نشرت الثناء وجدته
جمع المكارم طرفها وتلادها

٣٥ - غلب المساميح الوليد سماحة
وكفى قريشا ما ينوب وسادها

٣٦ - تاتيه اسلاب الاعزة عنوة
قسراً ويجمع لحروب عتادها

٣٧ - وإذا راى نار العدو تضرمت
سامى جماعة اهلها فاكتادها

٣٨ - بعرمرم يئد الروابى ذى وغى
كالحرارة احتمل الضحى أطوادها

٣٩ - اطفات نيران العدو وأوقدت
نار قدحت براحتيك زنادها

٤٠ - فبدت بصيرتها لمن تبع الهدى
واصاب حر شرارها حسادها

٤١ - وإذا غدا يوما بنفخة نائل
عرضت له الغد مثلها فاعادها

٤٢ - وإذا جرت خيل تبادر غاية
فالسابق الجائى يقود جيادها

مفردات القصيدة :

١ - اعتادها : أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها ، أو انه أتاها مرة بعد اخرى . شمل : عم . ابلادها : آثارها واحدها : بلد .

٢ - الرواسى : يريد الاثافى ، رسا الشىء يرسو رسواً إذا ثبت . حمراء : يقصد نيران الحب والفراق .

٣ - رواحل للقدور : مواقد تحمل الاوانى ، يقصد : عريت من القدور .

٤ ـ شبيكة : تصغير شبكة ، وهـو مكان كثير الآبار يقرب بعضها من بعض وتكون قريبة القعور . وقيل : هو ماء ، وقيل : موضع بطريق الحجاز ، وقيل : هو بين مكـة والزاهد على طريق التنعيم .

٥ ـ التلعـة : مسـيل ما ارتفـع من الأرض إلى بطن الوادى ، الجماد : اليابسـة التى لم يصبها مطر ولا شىء فيها .

٦ ـ روى البيت رواية أخرى هكذا : ( الأغانى ٣٠٠/١ دار ) .

**ولرب واضحـة العـوارض طفلـة**
**كالـريم قد ضربت بهـا أوتادهـا**

والعوارض : الثنايا . طفلة : رخصة ناعمة . الخريدة : البكر التى لـم تمس قط ، وقيل هى الحيية الطـويلة السكوت الخافضـة الصـوت المسـتترة .

٧ ـ بهجتها : حسنها . المعلل بالصبا : المشـغول به .

٨ ـ البكر : التى ولدت بطنا . الفريدة : أى التى انفـردت عن صواحبها وخذلتهن حتى تقيم على ولدها . قفرات : جمع قفرة . وقـد وردت ( قفاتها ) جمع قفة وهى شـجرة مسـتديرة ترتفع عن الأرض قدر شبر وتيبس . العهاد : جمع عهدة وهو أول ما يقع من المطـر .

٩ ـ خضبت : أثرت فى جبينها ، وخضب الشجر إذا ظهر ورقه بعـد المطر . عقد : جمع عقدة وهو من الشجر ما ثبت أصله ، العلجان : شجر أخضر مظلم الخضرة متهصر ليس فيـه ورق وإنما هـو قضـبان كالإنسان القاعد ، ومنبته السهل ولا تاكله الإبل إلا مضطرة . العراد : شجر غليظ كبير ، وقيل هو حشيش طيب الريح .

١٠ ـ الزين : الشامة ، أو النقط فى وجـه العروس تكـون من

زعفران ، أو هو : ما تتزين به من الحلى . أرآدها : مفردها : رئد وريد ومعناها : الاتراب والاصدقاء ، وقيل أرآدها : اغصانها .

١ ـ تزجى : تسوق ، أو تدفع . الاغن : الظبى الصغير ضعيف الصوت ، أو يخرج صوته من خياشيمه . إبرة روقه : حد قرنه . المداد : الحبر .

١٢ ـ عالج : قيل هو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض ، وقيل هو شجر ياكله البعير ، وقيل هو اسم موضع نسب إلى الشجر واقع بين فيد والقريات على طريق مكة لا ماء فيه . متحير : صعب المرتقى . تربب : تربى يقال : ربيته وربيته بمعنى واحد .

١٣ ـ مجر : ما فى بطن الناقة . مرتجز الرواعد : أى مرتجز بالرعد أى كان رعده صوت مرتجز . الرواعد : جمع راعدة وهى الرعد .

ويروى : مرتجز الروائح أى السحب التى تمطر بالعشى . بعجت : شققت ، يقال : تبعج السحاب وانبعج بالمطر : انفرج عن الودق والوبل الشديد . غر السحاب : بيضه وهى الثقال أى أنها كثيرة الماء . المزادة : الرواية ، وقال ابن سيده : هى التى يحمل فيها الماء .

١٤ ـ محانيه : معاطفة وثناياه ، جمع محنية ، وهو ما انحنى من الوادى . تسق : من الوسق وهو الجمع ، يقال : لا أكلمه ما وسقت عينى الماء ، ووسقت الإبل إذا طردتها وجمعتها . الثرى : الندى ومثل هذه الارض يكون نبتها ناعما . الهبر : المطمئن من الرمل أو الأرض وما وحوله أرفع منه . يونق : يعجب . الرواد : طلاب الكلا والمرتع الخصب .

١٥ ـ بانت : بعدت .

١٦ - الخلة : الصديق والصداقة والمراد هنا : الصديقة . اغتفرت : احتملت .

١٧ - القرينة : البعير يقرن إلى آخر من قرن . النجدة : الشدة والتعب . من ضغنها : قال ثعلب : أى أنها تضغن إلى وطنها تنزع إليه فهى تجاذب ما لزت إليه . والمعنى الشائع للضغن : الحقد والبغض . قال ابن منظور : وامرأة ذات ضغن على زوجها إذا أبغضته .

١٨ - تفشغ الشيب : كثر وانتشر . اللمة : الشعر المجاور شحمة الاذن . الوضح : البياض .

١٩ - ورد البيت فى رواية أخرى هكذا :

فلقد ثنيت يد الفتاة وسادة

لى جاعلا يسرى يدى وسادها

٢٠ - الكر : الرجوع ، كر عليه كرا : عطف ، وكر عنه : رجع . طرادها : عدوها وتتابعها .

٢١ - السناد : هو عيب من عيوب الشعر ، وهو اختلاف الارداف كقول عبيد :

فقد الج الخباء على جوار

كان عيونهن عيون عين

ثم قال :

فإن يك فاتنى أسفا شبابى

وأضحى الرأس منى كاللجين

وقالوا : فرق بين السناد والإقواء .

راجع / لسان العرب / « سند » وكتب العروض .

٢٢ - المثقف : أى الذى يصقل سيفه . الكعوب : عقد القناة .

الثقاف : خشبة مختلفة الرؤس فيها خروق فيدهن المثقف القناة ويدنيها من النار ثم يدخلها فى خرق الثقاف فيغمزها حتى يستوى اعوجاجها . مناكدها : معوجها .

٢٣ ـ شظف الخطوب : الشظف : الشدة . الخطوب : الأمور .

٢٤ ـ السداد : القصد . أو ما تسد به الخلة .

٢٧ ـ الأنواء : جمع نوء وهو المطر . خناصرة : بلدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية ، وهى مدينة كان ينزلها عمر بن عبد العزيز . الأحص : كورة كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبلة وبين الشمال فى مدينة حلب . وقيل : الأحص : جبل .

٢٩ ـ خزائمها : أى قيادها .

٣٢ ـ الغور : العميق البعيد ، وقيل : هو ما انخفض من الأرض . نجادها : ما غلظ من الأرض وأشرف وارتفع واستوى .

٣٤ ـ الطريف والطارف والمطرف : المال الحديث . والتليد : القديم الموروث .

٣٧ ـ تضرمت : توقدت واشتعلت والتهبت . سامى : ارتفع وصعد . اكتادها : من الكيد . وفى رواية « اقتادها » .

٣٨ ـ العرمرم : الجيش الضخم . يئد الروابى : يغمز الأماكن المرتفعة من الأرض بالوطء الشديد . ذى وغى : أى يسمع لهم صوت شديد . الحرة : الأرض ذات الحجارة السود . احتمل الضحى أطوادها : أى رفع الضحى إذا كان فيه الآل حيالها فإذا راها الناظر يقدر أنها قد عظمت .

٣٩ ـ قدحت : أشعلت . براحتيك : بيديك . الزناد : عود الثقاب .

**وقفة خفيفة مع القصيدة ٠**

كعادة الجاهلين بدأ ( عدى ) قصيدته بمقدمة طلليه ـ ويخيل إلى أنه كان ينظر إلى معلقه طرفة أو كانت فى ذهنه وقت إنشائه هذه القصيدة ٠

وعدى فى الأبيات الخمسة الأولى يصف الديار التى زار ما بقى منها مرارا وقد شملها البلى ولم يبق فيها سوى الأحجار التى كانت تنصب للقدور ، وقد عريت من القدور ٠

وطرفه وصف الديار وموكب الحبيبة فى خمسة أبيات أيضا ٠

ثم أخذ يصف حبيبته ويشبهها بالظبية البكر الفريدة ـ وهذا يعطى فرصة لتأمل حسنها وجمالها ـ كما فعل طرفه حين قال :

**خذول تراعى ربربا بخميلة**
**تناول أطراف البرير وترتدى**

وفى وصف البعير والظبية يأتى بيته الفذ الذى حسده عليه فحول الشعراء وتداولته كتب البلاغة والنقد وهو قوله :

**تزجى أغن كأن إبرة روقه**
**قلم أصاب من الدواة مدادها**

ويقال إن هذا البيت وراء شهرة عدى ٠

ثم تحدث عن نفسه التى أصابت من المعيشة لذتها ، ولقيت من شدة الأمور صعابها ٠

ثم مدح الوليد بن عبد الملك واتخذ من حديث الأنواء بداية للحديث عن الممدوح فاقام علاقة بين الغيث والوليد ، واتخذ من الفعل « نزل » بداية وجانس بين الغيث والإغاثة وهو ما يعتقده بعد أن القت البرية كلها أمورها إليه وسلمته مقادها ٠

وعلى مذهب شعراء بنى أمية يذهب الشاعر إلى أن إرادة الله التى شاءت أن يتولى الوليد مقاليد الأمور ليأخذ بيد البلاد إلى الصلاح والرشاد فصار يعمر أرض المسلمين ويرد عنها كيد المفسدين ، وقد أفاء الله عليه من وراء ذلك الغنائم الوفيرة والأسلاب العظيمة .

ولم يغب عن بال عدى قدرة الوليد الحربية فتحدث عنها وختم بها قصيدته .

## مع البلاغة

فى القصيدة من الألوان البيانية .

١ - التشبيه .

فى قول الشاعر :

تصطاد بهجتها المعلل بالصبا
عرضا فتقصده ولن يصطادها
كالظبية البكر الفريدة ترتعى
من ارضها قفراتها وعهادها

وقوله :

خضبت بها عقد البراق جبينها
من عركها علجانها وعرادها
كالزين فى وجه العروس تبذلت
بعد الحياء فلاعب أرآدها

وقوله :

تزجى اغن كان إبرة روقه
قلم أصاب من الدواة مدادها

٢ ـ الاستعارة ٠

فى قوله :

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

٠ ٠ ٠ واستلب الزمان رمادها

وتنكرت كل التنكر بعدنا
والارض تعرف بعدها وجمادها

او ما ترى ان البرية كلها
القت خزائمها إليه فقادها

٣ ـ الكناية ٠

فى قوله :

او ما ترى شيبى تفشغ لمتى

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

وقوله :

وإذا نشرت له الثناء وجدته
يجمع المكارم طرفها وتلادها

وقوله :

تاتيه اسلاب الاعزة عنوة
قسرا ويجمع للحروب عتادها

اما البديع فنجد الطباق فى قوله :

اطفأت نارا للحروب واوقدت
نارا قدحت براحتيك زنادها

وقوله :

وعمرت ارض المسلمين فاقبلت
ونفيت عنها من يريد فسادها

**موسيقى القصيدة :**

ينساب التنغيم فى هذه القصيدة انسيابا يجعلها صالحة للغناء - فهى من بحر الكامل الذى انسجم مع قافية عذبة سهلة المخرج .

وعروض القصيدة سهل ، وقد قلت فيه الزحافات والعلل المعقدة(١) .

وقد حرص الشاعر على التصريع(٢) فى مطلع القصيدة وداخلها .

ولا شك أن التصريع فى مقدمة القصيدة بمثابة « مقدمة موسيقية خفيفة قصيرة ، تلهب إحساسنا وتهيئنا لاستماع القصيدة ، وتدلنا على القافية التى اختارها الشاعر »(٣) .

أما داخل القصيدة فالتصريع « دليل على اقتدار الشاعر وسعة بحره وقوة طبعه »(٤) .

* * *

**خصائص شعر « عدى » :**

١ - صفاء الألفاظ ورقة المعانى .

٢ - يكثر عدى من ذكر المواضع التى عاش فيها مما يؤكد شدة ارتباطه بها وعمق انتمائه لها .

---

(١) ديوان عدى ط بيروت ص ١٣٣

(٢) التصريع : ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته .

(٣) الشعراء وإنشاد الشعر ص ١٣٤ د/ على الجندى .

٣ ـ كان عندى شاعرا حضـريا ، يتسلسل ظل النعيم فى أبياته ، وينساب رونق الحضارة فى شعره ، وتتناثر مفردات الحياة الاجتماعية فى صـوره وهو يستعيد التشبيهات التى أملتها عليه طبيعة الحيـاة ، ولونتها رفاهية الواقع الجـديد الذى عاشه الإنسـان العربى فى ظـل التقاليـد الحضرية .

ولابد أن يكـون هـذا الاتجـاه قد حملـه مهمـة الإحسـان فى مخاطبـة الخلفـاء(٥) .

* * *

(٤) نقـد الشـعر ص ٨٦ والمرجـع السـابق ص ٨٦

(٥) راجع مقدمة ديوان عبـدى ـ ط العراق .

## المـــراجع


١ ـ أدب السياسة فى العصر الاموى
د/ أحمد الحوفى ٠ دار نهضة مصر ط ثالثة ٠

٢ ـ الادب فى موكب الحضارة الإسلامية د/ مصطفى الشكعة ٠
عمر رضا كحالة ـ المكتبة الهاشمية ـ دمشق ٠

٣ ـ اعلام النساء فى عالمى الجاهلية والإسلام

٤ ـ الاغانى لابى الفرج الاصفهانى ـ ط دار الكتب ٠

٥ ـ انساب الاشراف للبلاذرى ٠ ج ٥ ط مكتبة المثنى ـ بغداد ٠

٦ ـ البيان والتبيين ـ للجاحظ ـ
تحقيق عبد السلام هارون ـ ط الخانجى الخامسة ١٩٨٥

٧ ـ التطور والتجديد فى الشعر العربى
د/ شوقى ضيف ط دار المعارف السادسة ٠

٨ ـ التفسير والمفسرون ـ
الدكتور / محمد حسين الذهبى ط مكتبة وهبة ٠

٩ ـ تاريخ الادب العربى ـ
د/ عمر فروخ ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ٠

١٠ ـ تاريخ الادب العربى ـ
العصر الإسلامى د/ شوقى ضيف ط دار المعارف ـ ط ثانية ٠

١١ ـ تاريخ الامم والملوك للطبرى ط / دار المعارف ٠

١٢ ـ تاريخ الشعر العربى
د/ محمد عبد العزيز الكفراوى ط / نهضة مصر ٠

١٣ ـ تاريخ التقائض فى الشعر العربى د/ أحمد الشايب ط ١٩٦٤

١٤ ـ جمهرة خطب العرب أحمد زكى صفوت ـ ط الحلبى ٠

١٥ ـ الجامع لاحكام القرآن ( تفسير القرطبى ) ـ ط دار الشعب ٠
١٦ ـ الحماسة لابى تمام ٠
١٧ ـ حياة الشعر فى الكوفة
د/ يوسف خليف ـ دار الكاتب للطباعة والنشر ١٩٦٨
١٨ ـ الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان
محمد الصادق عرجون ـ الدار القومية للطباعة والنشر ٠
١٩ ـ ديوان الأخطل
تحقيق إيليا سليم الحاوى ـ دار الثقافة ـ بيروت ٠
٢٠ ـ ديوان ابن الرقيات ـ ط / فينا ٠
٢١ ـ ديوان جرير ـ ط / الصاوى ٠
٢٢ ـ ديوان جميل ٠٠٠ تحقيق د/ حسين نصار ـ دار مصر للطباعة ٠
٢٣ ـ ديوان ذى الرمة ٠
٢٤ ـ ديوان الطرماح ـ تحقيق كرنكو ٠
٢٥ ـ ديوان عدى بن الرقاع
ط / العراق ، ط / دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠
٢٦ ـ ديوان الفرزدق ـ ط / الصاوى ٠
٢٧ ـ ديوان القطامى
تحقيق د/ ابراهيم السامرائى و د/ أحمد مطلوب ـ بيروت ١٩٦٠
٢٨ ـ ديوان كثير ـ ط / الجزائر ٠
٢٩ ـ ذو الرمة شاعر الحب والصحراء د/ يوسف خليف ٠
٣٠ ـ رغبة الأمل من كتاب الكامل للمرصفى
ط / نهضة مصر الأولى ١٩٢٧ وما بعدها ٠
٣١ ـ زهر الآداب للحصرى ٠
٣٢ ـ سنن ابن ماجة ـ ط الحلبى ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ٠
٣٣ ـ شعر الحرب فى أدب العرب ـ د/ زكى المحاسنى ٠

٣٤ - **الشعر والشعراء لابن قتيبة**
تحقيق أحمد شاكر - ط دار المعارف سنة ١٩٦٦
٣٥ - **شعراء أموبون - القسم الثالث** - د/ نورى القيسى ط العراق .
٣٦ - **صحيح البخارى** - ط صبيح .
٣٧ - **صحيح مسلم** - ط الحلبى .
٣٨ - **طبقات الشعراء لابن سلام** - تحقيق شاكر .
٣٩ - **العشاق الثلاثة**
د/ زكى مبارك سلسلة اقرأ - دار المعارف بمصر .
٤٠ - **العمدة لابن رشيق القيراونى** - ط السعادة .
٤١ - **عون المعبود شرح سنن أبى داود**
ط شمس الحق آبادى - ط دار الكتب العلمية بيروت .
٤٢ - **الفتوة عند العرب** - عمر الدسوقى - مكتبة نهضة مصر .
٤٣ - **فجر الإسلام**
أحمد أمين - ط مكتبة النهضة المصرية - الحادية عشرة ١٩٧٥
٤٤ - **الفهرست لابن النديم** - ط الاستقامة .
٤٥ - **الكامل - للمبرد** - ط / نهضة مصر .
٤٦ - **الكامل فى التاريخ لابن الاثير** - ط / دار صادر .
٤٧ - **المؤتلف والمختلف للآمدى**
تحقيق عبد الستار فراج - ط الحلبى سنة ١٩٦١
٤٨ - **مروج الذهب للمسعودى** - المطبعة البهية .
٤٩ - **مصادر الشعر الجاهلى**
د/ ناصر الدين الأسد - ط / دار المعارف ٦٢
٥٠ - **النقائض لأبى عبيدة**
٥١ - **نقائض جرير والأخطل**
٥٢ - **الوصف** سامى الدهان - ط دار المعارف .

## محتويات الكتـاب


| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|
| مقـــــدمة | ٣ |
| **الباب الأول : الشعر فى العصر الأموى** | ٥ |
| **الفصل الأول : العوامل المؤثرة فى الأدب الأموى** | ٥ |
| **أولا : السياسة** | ٥ |
| ١ ــ الحزب الأموى | ١٢ |
| ٢ ــ الشـيعة | ١٦ |
| ٣ ــ الخـــوارج | ١٩ |
| ٤ ــ المرجئـة | ٢٣ |
| ٥ ــ الزبيريون | ٢٥ |
| **ثانيا : مجتمع العصر الأموى** | ٢٩ |
| **ثالثا : الثقافة فى ظل بنى أمية** | ٣٥ |
| **الفصل الثانى : الحياة الأدبية فى العصر الأموى** | ٣٧ |
| **الشعر الأموى : فنونه وخصائصه** | ٤٧ |
| **فنون الشعر** | ٤٧ |
| ١ ــ المـدح | ٤٧ |
| ٢ ــ الغـزل | ٥٧ |
| ٣ ــ شعر الخصومات | ٧٠ |
| ( أ ) الخصومات الحزبية | ٧١ |
| (ب) النقائض والخصومات القبلية | ٨٨ |

| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|
| ( جـ ) النقائض الفرديـة | ١٠٢ |
| مقومات النقائض الاموية | ١٠٦ |
| خصائص النقائض الاموية | ١١١ |
| ٤ ـ الرثـاء | ١١٦ |
| ٥ ـ الوصف | ١٢٠ |
| ٦ ـ الخمريات | ١٢٣ |
| خصائص الشعر فى العصر الاموى | ١٢٥ |
| **الباب الثانى** : النثر فى العصر الاموى | ١٣٣ |
| **أولا** : الخطابة | ١٣٣ |
| **ثانيا** : الحـوار | ١٥٠ |
| **ثالثا** : الكتابـة | ١٥٤ |
| **رابعا** : الوصـايا | ١٥٨ |
| **الباب الثالث** : التراجم والنصوص | ١٦١ |
| ١ ـ شاعر الحب : جميل بن معمر العذرى | ١٦١ |
| نص لجميل | ١٧٤ |
| مميزات شعر جميل | ١٧٨ |
| ٢ ـ شاعر أهل الشام : عدى بن الرقاع العاملى | ١٨١ |
| عدى يمدح الوليد بن عبد الملك | ١٨٦ |
| مفردات القصيدة | ١٨٩ |
| وقفة حقيقية مع العقيدة | ١٩٤ |

## تعـريف بالمـؤلف

الاسم : زكريا عبد المجيد عبد الهادى النوتى ٠

من مواليد قرية كفر الشعبانية - سمنود - غربية فى ١٩٥٦/١١/١٥

أتم حفظ القـرآن الكريم وهو فى التاسـعة من عمره ٠٠ دخـل مسـابقة القبـول الأزهرية سـنة ١٩٦٨ والتحـق على أثرها بالأزهـر الشريف ٠

- حصـل على الإعدادية الأزهرية ١٩٧١ وكان ترتيبه على مسـتوى الجمهورية ( السابع والثلاثين ) ٠
- ثم حصـل على الثانوية الأزهرية ١٩٧٥ وكان ترتيبـه ( الثانى ) على مسـتوى الجمهورية ٠
- التحق بكلية اللغـة العربية بالقاهرة فى العام نفسـه وكان ترتيبه (الأول) على دفعته فى السنوات الأربـع ونال درجـة الليسـانس بتقدير ( جيد جـدا مع مرتبة الشرف الأولى ١٩٧٩ ) ٠
- عين معيدا فى قسـم الأدب والنقـد بالكليـة ١٩٨١ ونال درجـة التخصص المـاجستير ١٩٨٦ فى موضـوع « **خالـد الجرنوسى** » حياته وشعره « بتقدير ممتـاز » ٠
- حصـل على درجـة العالميـة « الدكتوراه » ١٩٩٠ فى موضـوع « **شعر قبيله بنى سليم من الجاهلية حتى نهاية العصر الأمـوى** » « بتقـدير مرتبة الشرف الأولى » ٠

**نتاجـه العلمى :**

١ - تفسـير « **بحر العلـوم** » لأبى الليث السـمر قنـدى تحقيق ( بالاشـتراك ) ٠

٢ - تفسير ( البحر المحيط ) لأبى حيان .. تحقيق ( بالإشتراك ) .

٣ - كتاب الذريعة فى الأعداد الواردة فى الشريعة - تحقيق ( بالاشتراك ) .

٤ - كتاب الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى .. تحقيق ( بالاشتراك ) .

٥ - الأدب الجاهلى تاريخه وقضاياه - تاليف

٦ - الأدب الأموى - تاريخه وقضاياه - تاليف

٧ - درر من الأدب الجاهلى - تاليف

* * *